# سفينة البضائع وضميمة الضوائع

تأليف


## الحبيب علي بن حسن العطاس


الجزء الثاني

اعتنى به حفيده


احمد بن عمر بن طالب العطاس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين ، وبه نستعين ، على أمور الدنيا والدين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدنيا ، وعنا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين . ( أمابعد ) فهذه كراريس من الجزء الثاني من كتاب سفينة البضائع وضمينة الضوائع تأليف سيدنا ومولانا وعمدتنا وقدوتنا ، قطب زمانه ، وفرد أوانه ، إمام المحققين ، وحجة الإسلام والمسلمين . سلطان الذائقين ، ناصر السنة المحمدية ، والوارث للأسرار الأحمدية ، عين الأعيان ، وبهجة الزمان ، علم الأعلام ، البدر الطالع على أفق الإسلام ، سلالة العصبة الهاشمية ، وفرع الشجرة الزكية ، الوارث للسر الأحمدي ، التابع للنهج المحمدي ، مجدد مذهب السادة الصفوة ، الذائق لخمرة الدن والقهوة ، فرد دهره ، وغزالي عصره ، نور الدين أبي الحسن علي ابن الحسن بن عبد الله بن حسين بن عمر بن عبدالرحمن بن عقيل العطاس علوي ، الحسيني نسبا ، الشافعي بحكم الإتباع مذهبا ، الأشعري معتقدا . رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به وبأسراره وعلومه وأسلافه في الدارين آمين .

احمد بن عمر بن طالب العطاس

# ترجمة وجيزة عن المؤلف

هو الحبيب علي بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس . والدته الشيخه فاطمة بنت أبي بكر بن شيبان بن احمد بن سهل بن اسحاق .

ولد رضي الله عنه ببلد حريضة ليلة الجمعة ١٢ ربيع الثاني سنة ١١٢١ هجرية .

توفي والده وهو لم يزل في السنة الأولى من عمره كفله وتولى تربيته وتهذيبه جده الحبيب عبد الله بن حسين وجده الحبيب حسين بن عمر العطاس .

كانت النجابة والنبوغ والذكاء بادين عليه منذ صغره وهو لم يزل في سن التمييز وكل من رآه أوتفرس رأى ذلك واضحا بينا عليه .

كان رضي الله عنه من أول الصبا مشغوفا ومتعلقا بمجامع الخير ومجالس الذكر والعلم ؛ شديد الذكاء قوي الحافظة حتى إنه إذا حضر مجلسا وفيه من ينشد الشعر أويلقي درسا يحفظ كلما يدور في ذلك المجلس من دروس وأشعار وغير ذلك .

كان رضي الله عنه متمكنا في العلوم وفنونها ومعرفة قوانينها فقد صار لقوة اقتداره وحسن نظره واختباره يختار ويصطفي ويخترع ويقتفي من نظم الكلام ونثره وفي تتبعه وقفره ، فينشئ ما أراد ويؤشي منه مااستجاد . فإنه إن أراد في وشيه ومجاري مشيه محاورات البلغاء ومجارات الفصحاء كان في ميدان سباقهم مصليا ، وإن تدلى إلى محاورات العوام والأغبياء

تنزل إلى أفهامهم تنـزلا وتـدليا ، لأنهـم في حجـره كالأطفـال يـربيهم كل عـلى مايبلغه علمه وعلى قدر فهمه . وراثة نبوية وحراثة علوية .

عمارته للمشهد : كان موقع المشهد مجمع للصوص وقطـاع الطـرق ، وكانت أنباء جرائمهم تتواتر على سمعه ، فتزعجه أنباء المجرمين ويتألم لها أشـد الألم ، فشوشت أمنه وضاق صـدره الرحـب ، فقـرر قـراره الحكـيم الحـاسم السـامي فانتقـل إلى الغيـوار حيث يقيم الأشرار ليحاول قطع دابـر شرهم ويحيل الغيوار إلى دار أمن وعافية وهداية وصلاح ، وهو لايملـك إلا الثقـة بالله وهو حسبه ونعم الوكيـل ، فتوكل عـلى الله وأقـام في الغيـوار سـابقا والمشهد الآن ، فأكرمه الله بعونه فاسـتحالت تـلك الأرض الخائفـة الراجفـة إلى أرض آ منة مطمئنة .

وقد عمر المشهد وأقامه على خمس خصال : الكون في عـون جميـع المسـلمين ، وأنـس المستوحشـين ، وصـلة المنقطعـين ، وأمـان الخـائفين وسقي العاطشين . ممتـثلا قـوله صـلى الله عليـه وسـلم ( الخلـق عيـال الله وأحبهم إلى الله أنفعهـم لعيـاله ) وقـوله عليـه السـلام ( مـن لم يهـتم بـأمور المسلمين فليس منهم ) أومامعناه . وكان دأبه إصلاح ذات البـين والفصـل بين المتخاصمين ، وقد عقد هدنة عامة شـاملة بـين جميع قبائـل حضرموت من بلاد المهرة شرقا إلى بلاد بلعبيد والعوالق غربا ؛ وغيرها مدة شهر ربيع الأول من كل عام بصورة دورية .

أما علومه وفنونـه فقـد بـرز في عدة فنـون وآداب قـل أن تجتمـع في غيره ؛ ففي علوم القـرآن نبـغ فيهـا وله الملاحظـات في تفسـير بعـض الآيات قلَّ من سبقه إليهـا غيره مـن المفسرين ، كـذلك في علـم الحـديث والسـنة

المطهرة أتى بالعجب العجاب تجد ذلك بينا واضحا في كتبه ، راجع إن شئت الإطلاع على كتبه مثل : كتاب الرياض المؤنقة وكتاب سفينة البضائع الجزء الثاني ، ناهيك عن الجزء الأول الذي ترجم لنفسه فيه ترجمة وافية شافية قل من السابقين أن ترجم لنفسه . وفي علوم التاريخ وعلوم السابقين وخاصة ماجرى على جده الإمام الحسين بن علي بكربلاء من الفئة الضالة فقد أشبع الفصل ويكفيك قصيدته العصماء التي رد بها على الرياشي . وأما علوم الطب فقد بلغ فيها قل مابلغه إليها غيره ، أنظر كتاب الرياض المؤنقة وكتاب الرسائل المرسلة فترى فيه من التشخيص العجيب والوصفات العجيبة مايجعلك تذهل مما تسمع وتقرأ . وفي علوم الفلك والإجتماعيات وعلوم الزراعة أتى بالشيء الكثير . وله الرحلات الكثيرة في كافة وديان حضرموت والمكلا والشحر ووادي حجر لنشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ممتثلا قوله تعالى ( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ) ويكون في رحلاته محملا بالكتب ولايكتفي بحفظه مع أنه قوي الحافظة كما أسلفنا . وكان يطلب العلم والعلماء وإذا سمع بعالم في مكان ذهب إليه وقرأ عليه ، وإذا احتاج إلى كتاب أوسمع أنه موجود في بلدة أومحلة ذهب بنفسه أوأرسل من ينوب عنه لإحضاره بغرض الإفادة والإستفادة . وقد نظم سلسة أخذه عن مشائخه الكرام في قصيدته التي مطلعها : سمع سائلي عن سلك إسناد سادتي . وهي مثبوتة في الديوان .

مؤلفاته وموروثاته العلمية والتي هي جديرة بالعناية والتعهد لكي تبقى على مر الدهور مصانة محفوظة ينتفع بها كل جيل ليرتشف من معينها العذب ؛ ويقطف من ثمارها اليانعة ؛ فهي كثيرة منها :

١ – كتاب القرطاس في مناقب الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس جزئين

٢ – كتاب القرطاس شرح راتب الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس جزئين

٣ ـ الراتب المسمى الحصن المانع

٤– الرياض المؤنقة بالألفاظ المتفرقة

٥ – سلوة المحزون وعزوة الممحون

٦ – مزاج التسنيم في حكم لقمان الحكيم

٧ – الشوارد والشواهد

٨ – الإشارة الذكية في بعض ألفاظ الوصية

٩ – قلائد الحسان وفرائد اللسان ( ديوان شعر )

١٠- العطية الهنية والوصية المرضية

١١ – خلاصة المغنم في اسم الله الأعظم

١٢ – تحفة الأدب ونزهة العرب ( تعليقات على مقامات الحريري )

١٣ ـ المقصد إلى شواهد المشهد

١٤ – الرسائل المرسلة والوسائل الموصلة

١٥ ـ المختصر في سيرة سيد البشر

١٦ ـ سفينة البضائع وضميمة الضوائع ( الجزء الأول ترجم فيه لنفسه )

١٧ ـ سفينة البضائع وضميمة الضوائع ( الجزء الثاني ويشتمل على علوم متفرقة )

١٨ ـ الحضرة الرحمانية والنظرة الربانية

توفي رضي الله عنه بالمشهد سنة ١١٧٢ رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه الجنة دار القرار ونفعناالله به وبعلومه ولاحرمنا بركته في الدارين آمين . وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم وآخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه : احمد بن عمر بن طالب العطاس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين ، وبه نستعين ، على أمور الدنيا والدين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أمابعد فهذا مايسره الله لنا من الجزء الثاني من كتاب سفينة البضائع تأليف سيدنا وحبيبنا وبركتنا الحبيب علي بن حسن العطاس نفعنا الله به وبعلومه في الدارين آمين .

قال رضي الله عنه ونفعنا به : { **فائدة** } من درة الغوّاص في أوهام الخواص للحريري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كلما جاء في القرآن قد علمته إلا أربعة أحرف لاأدري ماهي ! الأوّاه ، والحنان ، والغسلين ، والرقيم ، ثم قال الحريري وقد فسرها غيره فقالوا : إن الحنان الرحمة ، ومنها قولهم حنانيك أي رحمة منك بعد رحمة ، وقالوا الأوّاه الكثير التأوه من الذنوب ، وقيل أنه المتضرع في الدعاء ، وقيل فيه المؤمن المؤقن ، وفسر الغسلين بأنه ماء يسيل من صديد أهل النار ، وقيل الرقيم أنه القرية التي أخرج منها أهل الكهف ، وقيل الوادي الذي فيه الكهف ، وقيل بل هو اسم الكلب ، قال : وذكر أبوالفرا أنه لوح من رصاص كتبت فيه أسماؤهم وأنسابهم . إنتهى . وكذلك ماذكره الحريري في الدرة . وذكر بعض المفسرين لغرائب القرآن أن الرقيم اللوح الذي رقم فيه أسماء أهل الكهف ، وقيل هو اسم الوادي الذي فيه الكهف ، وقيل الجبل ، وقيل الرقيم بلدة في بلاد الروم فيها غار فيه إحدى وعشرون نقيبا أمواتا كأنهم نيام على هيئة أصحاب الكهف ، وأصحاب الرقيم الذي إنطبق

عليهم كما جاء في الحديث الصحيح : من آياتنا عجبا ، أي كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر أوذات عجب .

{ فائدة } روى الإمام بشر الحافي عن محمد بن واقد الواقدي حكاية واحدة وهي أنه سمعه يقول : مايكتب للحمّى يوخذ ثلاث ورقات زيتون تكتب يوم السبت وأنت على طهارة على واحدة منها : جهنم غرثي ، وعلى الأخرى : جهنم عطشي ، وعلى الأخرى : جهنم مقرورة ، ثم تجعل في خرقة وتشد على عضد المحموم الأيسر . نقل هذه العزيمة ابن خلكان في تاريخه ، ثم قال الواقدي إني جربتها فوجدتها صحيحة ، ثم قال ابن خلكان وهذه الحكاية نقلها أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه الذي وضعه في أخبار بشر الحافي . وروى المسعودي في كتاب مروج الذهب أن الواقدي المذكور قال : كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة ، فنالتني ضائقة شديدة وحضر العيد فقالت إمرأتي أمانحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ، فلو إحتلت في كسوتهم ، قال فكتبت إلى صديق لي وهو الهاشمي أسأله التوسعة عليّ بماحضر ، فوجه إليّ كيسا مختوما ذكر أنه فيه ألف درهم ، فماأستقر قراري حتى كتب إليّ الصديق الآخر يشكومثل ماشكوت إلى صاحبي الهاشمي ، فوجهت إليه الكيس بحاله وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتي مستحيياً من إمرأتي ، فلما دخلت عليها إستحسنت ماكان مني ولم تعنفني عليه ، فبينا أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي : أصدقني فيمافعلته فيما

وجهت به إليك ، فعرفته الخبر على وجهه  فقال لي إنك وجهت إليّ ومأأملك على الأرض إلا مابعثت به إليك ، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه كيسي بخاتمي ، قال الواقدي فتواسينا ألف درهم فيما بيننا ثم إناأخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك ، فنمى الخبر إلى المأمون فدعاني وسألني فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفان وللمرأة ألفا . قال ابن خلكان وقد ذكر الخطيب في تاريخ بغداد هذه الحكاية وبينها وبين ماذكرناه هاهنا إختلاف يسير ، وكانت ولادة الواقدي في أول سنة ١٣٠ ثلاثين ومائة وتوفي عشية يوم الإثنين حادي عشر ذوالحجة سنة ٢٠٧ سبع ومائتين وهو يومئذ قاضي ببغداد في الجانب الغربي كذا قاله ابن قتيبة ، وقال السمعاني كان قاضيا بالجانب الشرقي كما تقدم والله أعلم ، وصلى عليه محمد بن سماعه التميمي ودفن في مقابر الخيزُران وقيل مات سنة تسع وقيل سنة ست ومائتين ، والأول أصح . وقال الخطيب في تاريخ بغداد في أول ترجمة الواقدي أنه توفي في ذي القعدة وقال في آخر الترجمة أنه مات في ذي الحجة رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

ورأيت بخطي في مسوداتي أن الواقدي مات وعمره ثماني وسبعون سنة ، والواقدي بفتح الواو وبعد الألف قاف مكسورة ثم دال مهملة هذه النسبة إلى واقد وهو جده المذكور ، وقد تقدم الكلام على المدني وعسكر المهدي هي المحلّة المعروفة اليوم بالرصافة في الجانب الشرقي من بغداد عَمَرها أبوجعفر المنصور لولده المهدي فنسبت إليه ،

وهذا يؤيد أن الواقدي كان قاضي الجانب الشرقي لاالغربي والله أعلم . ( ابن خلكان ص ٤/٣٤٨ )

{ فائدة هذه قصيدة للشيخ عمر بن عبدالله بامخرمه نفع الله به آمين }

يقول أبوعليا عسى بعد إنقطاع لي وصول

أوعل يحصل لي إذا قابلت من سولي قبول

فانه برانا البين واجرى مدمعي مثل السيول

من حيرة التفريق والتعويق مادري كيف أقول

ياالله يارباه يامن جل عن درك العقول

ياحي ياقيوم بلغنا بفضلك كل سول

في الدين والدنيا وخل الصعب لي منها ذلول

حتى أخزي الشيطان واستولي على الأعداوطول

بك ياكريم الوجه ثم الساع هل لي من رسول

يغدي بمسطوري إلى وادي الطراوه والطلول

وادي الغواني الغيد ذي باعيانها ترمي النصول

فان كان يابن الجون لك مَنوًا في المغدى عجول

خذها متى مانويت مستنهج بهاذيك الطلول

ذي حيها في الكسر وانزل في المنازل والنزول

وانشد على الأحباب ذي دوارهم شرقي سلول

بالسفح من هينن سقاها كل هطال همول

من خرفي أووسمي وعوّا صيفها ثم البغول

والحوت والنطحين ذا في ذا على مر الفصـــول
نبغا لها لأجل الذي في القلب مازالوا حلـــــول
كلا ولافي أحكامهم مرت براطيل الجـــــعول
عبدالودود المتصف بأوصاف الأخيار العـــدول
بالعلم والرأفه ونشر الحق بين أهل القـــبول
والثاني الدحاق رؤس القوم باوساط النعـــول
بدر الذي بالسيف خلا العيس في البيدا هـمول
هملا والأوعار النفانيف أصبحت بامره سهـــول
ذولا آل جعفر الأصل واهل المعرفه ترعى الأصول
ماانسى فضايلهم ولوبي من فعايلهم عــــــلول
أطفيتها بالصبر والدنيا كذا فيها المـــــــيول
مره تبرق لك ومره تنكر أنواها حـفـــــــول
تمت وصلى الله على الهادي النبي نعم الرســول

*******

**{ فائدة }** ومن طبقات الشعراني نفع الله به قال : ومن كلام الشيخ محمد بن أبي الوردي نفع الله به : الولي هو الذي يوالي أولياء الله ويعادي أعداءه .

ومن كلام الشيخ أبي العباس احمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي رضي الله عنه : لما عصى آدم عليه السلام بكى عليه كل شيء في الجنة إلا الذهب والفضة ، فأوحى الله إليهما لما لاتبكيا ؟ فقالا لانبكي على من يعصيك ، فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لأجعلن قيمة كل شيئ بكما ولأجعلن بني آدم خدما لكما .

{ فائدة } حديث عمارة عن أبيه خزيمة بن ثابت الأنصاري الأوسي الحطمي ذوالشهادتين أن النبي صلى الله عليه وسلم إشترى فرسا من سوّار ابن قيس المحاربي فجحده سوّار فشهد له خزيمة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحملك على الشهادة ولم تكن حاضراً معنا ؟ فقال صدقت بما جئت به وعلمت أنك لاتقول إلا حقا . وروي أنه قال نصدقك في خبر السماء ولانصدقك في خبر الأرض ، فقال صلى الله عليه وسلم من شهد له خزيمة أوأشهد عليه فحسبه خزيمة . هذا هو ذوالشهادتين قتل رضي الله عنه بصفين سنة ٣٧ سبع وثلاثين ، وكان قد شهد مع علي رضي الله عنه وكرم وجهه الجمل وصفين ولم يقاتل ، فلما قتل عمار ابن ياسر قال خزيمة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقتل عمّار الفئة الباغية ثم سلّ سيفه وقاتل حتى قتل رضي الله عنه .

**{ فائدة }** قوله تعالى **{ كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد ءاتيناك من لدنا ذكرا * من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا }** ( الآيات ٩٩-١٠٠ سورة طه ) ونقل الإمام يحيى العامري صاحب البهجة في كتابه ( الرياض المستطابة بذكر من روي في الصحيحين من الصحابة ) في ترجمة رفاعة بن رافع بن مالك العجلان الخزرجي الأنصاري الزرقي المدني قال : روى الشعبي قال لما خرج طلحة والزبير وعائشة على علي ابن أبي طالب بعد البيعة منهم كتبت أم الفضل زوجة العباس تخبره بخروجهم فقال علي العجب ! وثب الناس على عثمان فقتلوه وبايعوني غير مكرهين وبايعوا طلحة والزبير وقد خرجنا إلى العراق بالجيش ، فقال رفاعة بن رافع الزرقي إن الله لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ظننا أنا أحق بهذا الأمر لنصرتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومكاننا من الدين ، قلتم نحن المهاجرين الأولون وأولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقربون ، وإنا نذكركم الله أن تنازعوننا فخليناكم والأمر ، وأنتم أعلم وماكان ، غير أن رأينا الحق معمولا به والكتاب متبعاً والسنة قائمة رضينا ولم يكن لنا إلا ذلك وقد بايعناك ولم نأل ، وقد خالفك من أنت خير منه وأرضى فمرنا بأمرك ، وقام الحجاج من غزية الأنصاري فقال : داركها ثلاث مرات قبل العيا ، لاوالت نفسي إن خشيت الموت يامعشر الأنصار أنصروا أمير المؤمنين ثانية كما نصرتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله إن الأخيرة لشبيهة بالأولى ، إن الأولى أفضلها يعني بالآخرة بيعة علي رضي الله عنه ونصرته ، وبالأولى بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته التي هي أفضلها .

**{ فائدة }** قال مؤلف هذه السفينة العبد الفقير إلى الله علي بن حسن بن عبدالله بن حسين بن عمر العطاس باعلوي عفا الله عنه : يامن وقف على هذا المسطور من جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل النور ، أهل لاإله إلاالله محمد رسول الله التي ذنب قائلها مغفور ، وعيبه مستور ، وعمله الصالح مبرور ، وسعيه الناصح مشكور ، ونوره يسعى بين يديه وعن يمينه يوم الكفار تلتمس النور ، صدرت إليكم هدية محمدية علوية حسينية نبوية مصطفوية عطاسية ، وهي ورد العشرة الأذكار ، المعظمة الكبار ، المشرقة الأنوار في جميع النواحي والأقطار ، نقلناها لكم من آخر الفصل الثالث من مقدمة النصف الثاني من كتابنا المسمى بـ ( القرطاس في مناقب الحبر الغواص العطاس ) وقدمنا شرح فضائله لأجل ترغبون فيه وتعلمون جميع من تحبون له ماتحبون لأنفسكم ، وهذا لفظه : قال المؤلف عفا الله عنه وتقبل منه : ولنختم هذا الفصل العظيم الفائدة الجسيم المائدة العميم العائدة بهذا الورد الفائق لكل ورد ، وهو من أتم اورادي وأهم إجتهادي اللاتي بلغت بها أقصى مرادي ، وأهديتها لأهل ودادي من إخواني وأولادي ، وعممت بها أعدائي وحسادي ، وقد عنّ لي أن أذكره في هذا الجزء الثاني من كتابي المسمّى بالقرطاس في مناقب الحبر الغواص الغطاس العطاس مرتين ، الأولى في الفصل الثاني من الخمسة الفصول اللاتي هي لهذه المقدمة كالأصول المترجمة ، والموضع الثاني في آخر فوائد بسم الله الرحمن الرحيم وذلك لأجل التكرير والتقريروالتنوير والتأثير ولاينبئك مثل خبير ، وهو ورد عظيم المنفعة ، كثير الفضل والسعة ، وهو من أوراد العبّاد والزهاد والأبدال والأوتاد ، وهو من

الحروز الكريمة والكنوز العظيمة ، وقد حافظوا على ترتيبه كل يوم بعد صلاة الصبح وكل ليلة بعد صلاة المغرب ، فمن رتبه كذلك كما ذكروه ولازمه كما أمروه ، كفاه الله ماأهمه صادقاًكان أوكاذباً ، فما أعظم هذه النفاعة وماأكرم هذه الشفاعة ، قالوا وقد لازمه أهل الفضل والصلاح ، وعرفوا فيه الفوز والنجاح والفلاح ، وقد جربوه لتيسير الرزق وكفاية الهموم وتسخير الخلق والحفظ من كيد الأعداء ومن السحر ومن الجن ومن الشياطين ، وللحفظ من كل عاهة في النفس والأهل والمال ، وشرح الصدر وحسن الثناء والذكر والنور في القبر وغير ذلك ممالايعدّ ولايحصى ، هذا في الحياة الدنيا وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ، وهو هذه العشرة الأذكار الكاملة الكبار المشرقة الأنوار :

الأول : بسم الله الرحمن الرحيم { مائة مرة }

الثاني : الحمدلله رب العالمين { مائة مرة }

الثالث : اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم { مائة مرة }

الرابع : لاإله إلاالله محمد رسول الله { مائة مرة }

الخامس :سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم { مائة مرة }

السادس :أستغفرالله العظيم وأسأله التوبة والمغفرة {مائة مرة}

السابع : اللّهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني { مائة مرة }

الثامن : قل هو الله أحد إلى آخرها { مائة مرة }

التاسع : حسبناالله ونعم الوكيل { مائة مرة }

العاشر : اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأميّ وعلى آل سيدنا محمد وسلم { ثلاثا }

<u>إنتهى عدد الأذكار</u>

وقال عفا الله عنه هذه الأبيات منظوم فيها تفسير قول الله سبحانه وتعالى **{ لقد خلقنا الإنسان في كبد }** ( الآية ٤ سورة البلد ) وكان إنشاؤها يوم الإثنين الثاني والعشرين من شوال سنة ١١٦٤ أربع وستين ومائة وألف وذلك في شعب منوه بأعلى دوعن تقبل الله منه وهي هذه :

أقسمت من كلمات الواحدالصمد      حقا لقد خلق الإنسان في كـــبد

سوابق الحكم والأقـدارتدفـــعه      إلى الخــــواتم بالإشقاء والسـعد

وللعنايات آيات تبـين بهـــــا      من الجنايات والإحسان للنـقد

من هاهنا طارت الأحشالهم فرقا      ولم يرو غيرمحض الفضل مستـند

والمرء يكدح كـدحا في تقلـــبه      وهاك افتانه من حين حين بـدي

من قبل إبرازه في الكون مسكنه      حشوالحشافي ظلام الضيق والكمد

في برزخ البطن لا يدري بغايته      حتى يجي لسراه منتهى الأمـــد

وقاده سابق الأقدار ممتــــثلا      أمـــــرالمهيمن بالألطاف والمـدد

ويوم يولد يوم الكرب يكظمـــه      كالموت والبعث في الأهوال والشدد

وكم يذوق نهار الوضع من كــرب      يصيح من كربها بالصوت في حرد

فذلك الصيح مماصـار ينـــظره      من البلاياومن خصم عليه عـدي

وماتقابله به القوابـل مــــــن      حال النفاس إلى المرقى على المهد

من قطب صُرٍ وأصبارالدواء وعد      منها الوجور بخطم الأنف والكبـد

وفي الختان له تحريق مهجـــــته      بل يلتظي من وجور الشهدوالزبد

والخشف والوشم للأنثى مع حرج ... فيهاوفي تركها التعيير بالنقد
وللصغيرمن الجدري ومن حصب ... ملاحم وحصادات لمحتصد
كم تعتريه من الأوجاع مؤلمة ... تخص أعضاء وتقري سائر الجسد
كالقلب والرأس والأيدي وأرجله ... والظهروالبطن والعينين للرمد
وكم لترباته من حادثات وفي ... حال الصباوبلوغ من مخوف ردي
وكم له من يواليه ويبغضه ... في كل طور من الأ غيارمحتسد
يرميه كل قرين من عظائمه ... بالشتم والكتم للإحسان والجحد
وحين يبلغ تكليف المعاش وتـ ... ـكليف العبادة والإيمان والعهد
يجري عليه من الأقلام حافظة ... لما يقول وما يجني له بيد
وتعتريه شغوب في نوائبه ... بالمال والأهل والزوجات والولد
وإن تضرر بالضرات ضرته ... وصار بالشرب ظمآن الفؤادصدي
وكلما كثرت أسباب عيشته ... تكاثر الخصم بالعدوان والحسد
وصار يبغضه من ليس يسخطه ... على المعيشة لا الأنوار والرشد
بل جيفة سحرت ألبابنا وطوت ... عيوبها ومساويها عن البلد
تمضي كأضغاث أحلام على عجل ... بين أمس واليوم يتلوها ذهاب غد
شبابها شابه شيب ويشمطه ... بياضه صار كالأظلام والسود
وإن تقلل أضناه العنا وحنا ... كالعيرمهما حنا في حضرة الأسد
وفقر الفقر من أسنى مروءته ... سنامها وتوافي ضيّق الصفد
وإن تعرف بالعرفان أوحشه ... جهل الحفاة وبغي الضد والقدد
وصار بين عدو جاحد خصم ... ومحسن الظن للخيرات معتقد
ليشكرالله في تقريب ناصره ... ويلزم الصبر في تبعيد منتقد

ومخبت الظن في صافي طويـــته ليقطع الخير بالأضغان والحـــقد

وإن تجهل ذم الـناس عشرتـــه وصار في جملة الأنعام معـــتدد

معدود من جملة الأموات حسرته قبل الممات وبعد الموت في جدد

ما أقبح الجهل في الإنسان يقرنه مع البهائم والأنعام في صـــــفد

وكل حي على الدنيا يعد لـــها قلبا صبورا قوي الجأش والجلـد

له كروب ونوب للحـــروب وفي مس الخطوب على الحالات بالرصد

بالحب والبغض من ثلثي معاشره وثالث لاولا في حـال متحـــد

وإن تعـمّر شان الشيب قشرتـه وصار في أرذل الحـــالات بالأود

يعافه كل من قد كان يألـفـــه ويبتلي بعد قـــرب الناس بالبعد

وكم يفارق من أهل ومن ولـــد ورأس مال على الإنقاص بالنـقد

وإن فجأه الفنا في حال شبـــته بكى وأبكى ولايغنيه من أحـــد

وهول مصرعه هول له حـــرق ينسى لهذا لذيذ العيش والرغـد

ومنكس القبر والضم الفضيع لـه ووحشة ومقام النكر بالعـــمد

ياحسرة المرءكم يصلى بجائـحـــة حتى يغيّب عن خصم ومفـتقد

والنشروالحشر واليوم الطويل إذا قام القصاص على الأصواب والقود

وخوف خف لميزان ومن كتب تعطى كذا وكذا والشوط فيه مدي

وجازة الجسرأدهى كل داهـــية وهي الورودوينجومن هدي وهدي

ياصاحبي كيف يسلومن له غصص كهذه وله كد إلى الأبـــــد

أم كيف يلتذ باللـــذات ذوبصر أويستبين له ظلم على أحـــد

إن كان يؤمن إن الموت يدركـه وإن قول رسـول الله فيه قـدي

أستغفرالله غفارالـذنوب وستـ ـــارالعيوب لمن أضحى ولم يعد

والحمد لله شكراً عـد نعـــمته حـمداً يوافي مزيد الخـيربالعـدد
ثم الصلاة على المـولود في بلـد مامثله في بـلادالله من بلـــد
وكان مبعثه فيها وهجــرتـه إلى المديـنة والأنصار والمدد

*****

وهذه الأبيات لبعض الفضلاء القدماء سمعتها من بعض الحداة المنشدين وأحببت إيرادها في هذه السفينة للمودين ولغير المودين ، لأن النصيحة هي الدين لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وهي هذه :

يامن عـودونا الوفـا　　　أنتم حسبنا وكـــفى
يا‌أهل المعــــروف　　　والخير المـــــألوف
عبدبالذنوب إعـترف　　　عفـا الله عما سـلف

****

عبد عنكمولم يحـــل　　　ومن صدكم قد نحل
واصلوا المهــــجور　　　واجـــبروا المكسور
وارحموا شديد الأسـف　　　عفـا الله عما سـلف

****

مالي غـير إحسـانكم　　　فمنوا بغــــــفرانكم
للعبد الجــــــاني　　　جم العصــــياني
على بابكم قد وقـف　　　عـفا الله عما سـلف

****

من ذا غـيركم أرتجي　　　وإلى باب من ألـتجي
كونـــوا لي أنـــتم　　　كما قـد كنــــتم
قولوا عبدنا لاتخـف　　　عفـا الله عما سـلف

****

ترى هل يزول الجفا　　　ومنكم ننال الشـفـــا
مالفـــــــاقاتي　　　إلا ســـــاداتي

مالي عنكمو منصرف عـفا الله عما سـلف

****

عودي ياليالي الرضـا بالأنس الذي قد مضى
قد رضي المحـــبوب ونلنا المطــــــلوب
ونادى مناد الشـرف عفا الله عما سـلف

****

**{ فائدة }** قال ملتقط هذه البضائع إلى هذه السفينة الضميمة ، بحفظ مالأهل العلم من ضوائع ، العبد الفقير إلى الله علي بن حسن بن عبدالله بن حسين بن عمر العطاس ، هذه ترجمة يزيد بن زياد المعروف بابن المفرغ الحميري ، أحببت نقلها من تاريخ القاضي احمد بن محمد بن خلكان المسمى ( وفيات الأعيان ) بل هو والله أعجوبة الزمان ، وهذه الترجمة لاينبغي للناظر فيها بل في جميع هذه السفينة أن يسأم من طولها، أويضجر للمسالة عن عدلها، لما فيها من البيان ، والفضائل الغرائب الحسان ، وشرح فوائد لاتكاد توجد في غيرها من تبيان .

قال ابن خلكان : هو أبوعثمان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ بن ذي العشيرة بن الحارث ابن دلال بن عوف بن عمرو بن يزيد بن مرّة بن مرثد بن مسروق بن زيد ابن يحصب الحميري ، وبقية النسب من يحصب معروفة فلا حاجة إلى ذكرها ، هكذا ساق هذا النسب ابن الكلبي في كتاب ( جمهرة النسب ) غير أنه لم يذكر كنية يزيد ، بل ذكرها صاحب ( الأغاني ) ، وأكثر العلماء يقولون : هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ ويسقطون زياداً .

وقال صاحب ( الأغاني ) : إنما لقب جده مفرغا لأنه راهن على سقاء من لبن يشربه كله ، فشربه حتى فرّغه فسمي مفرغاً . وذكر في ترجمة حفيده السيد الحميري في كتاب ( الأغاني ) أيضا ان ابن عائشة قال : مفرغ هو ربيعة ، ومفرغ لقبه ، ومن قال ربيعة بن مفرغ فقد أخطأ . والله أعلم . وقال الفضل ابن عبدالرحمن النوفلي : كان مفرغ المذكور حداداً باليمن فعمل لإمرأة قفلا وشرط عليها عند فراغه منه ان تجيئه بلبن في كرش

ففعلت ، فشرب منه ووضعه ، فقالت له : ردّ على الكرش فقال : ماعندي شيء أفرغه فيه ، قالت لابد منه ، ففرغه في جوفه فقالت : إنك لمفرغ فعرف به . وهو من حمير فيما يزعم أهله . وذكر ابن الكلبي وأبوعبيدة أن مفرغا كان شعاباً بتبالة .

ثم قال ابن خلكان { قلت } تبالة بفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها باء موحدة ثم ألف ولام وفي آخرها هاء ، وهي بُليدة على طريق اليمن للخارج من مكة ، وهذا المكان كثير الخصب ، له ذكر في الأخبار والأمثال والأشعار ، وهي أول ولاية وليها الحجاج بن يوسف الثقفي ، ولم يكن رآها قبل ذلك . فخرج إليها فلما قرب منها سأل عنها فقيل له إنها وراء تلك الأكمة ، فقال : لاخير في ولاية تسترها أكمة ، ورجع عنها محتقرا لها وتركها ، فضربت العرب بها المثل وقال للشيء الحقير ( أهون من تبالة على الحجاج ) . قال الراوي : فادعى يزيد أنه من حمير ، وهو حليف آل خالد بن أسيد بن أبي العيص الأموي ، وقيل إنه كان عبدا للضحاك بن عبد عوف الهلالي فأنعم عليه .

وكان يزيد شاعرا غزلا محسنا ، والسيد الحميري الشاعرالمشهور من ولده ، وهو إسماعيل بن محمد بن بكار بن يزيد المذكور ، كذا ذكره ابن ماكولا في كتاب ( الإكمال ) ولقبه السيد وكنيته أبو هاشم وهو من كبار الشيعة ، وله في ذلك أخبار وأشعار مشهورة ، ومن محاسن شعر يزيد المذكور قوله من جملة قصيدة يمدح بها مروان بن الحكم الأموي وكان قد أحسن مروان إليه :

وأقمتمو سوق الثناء ولم تكن     سوق الثناء تقـــام في الأسواق

فكأنما جعل الإله إليـــــكمو قبض النفوس وقسمة الأرزاق

والبيت الأول من هذين البيتين تقدم ذكره في ترجمة يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني منسوبا إلى احمد بن أبي فنن يمدح خالد بن يزيد بن مزيد المذكور من جملة أبيات . والله أعلم بالصواب في ذلك .

ولما ولي سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه خراسان عرض على يزيد بن مفرغ أن يصحبه فأبى ذلك ، وصحب عباد بن زياد بن أبيه ، فقال له سعيد : أمّا إذ أبيت أن تصحبني وآثرت صحبة عباد فاحفظ ماأوصيك به : إنّ عباداً رجل لئيم فإياك والدالة عليه وإن دعاك إليها من نفسه ، فإنها خدعة منه لك عن نفسك ، وأقلل زيارته فإنه ملول ، ولاتفاخره وإن فاخرك لأنه لايحتمل لك ماكنت أحتمله . ثم دعا سعيد بمال فدفعه له وقال له : إستعن به على سفرك فإن صح لك مكانك من عباد وإلا فمكانك عندي ممهد فأتني .

ثم سار سعيد إلى خراسان وخرج ابن مفرغ مع عباد فلما بلغ عبيدالله بن زياد أمير العراقين صحبة يزيد أخاه عباداً شق عليه ، فلما سار عباد شيعه أخوه عبيدالله وشيعه الناس وجعلوا يودعونه ، فلما أراد عبيدالله أن يودع أخاه دعا ابن مفرغ فقال له : إنك سألت عباداً أن يصحبك فأجابك وقد شق علي فقال له : ولم أصلحك الله ؟ قال : لأن الشاعر لايقنعه من الناس مايقنع بعضهم من بعض ، لأنه يظن فيجعل الظن يقينا ولايعذر في موضع العذر ، وإن عبادا يقدم على أرض حرب فيشتغل بحروبه وخراجه عنك فلاتعذره أنت وتكسونا شرا وعارا ، فقال له : لست كما ظن الأمير ، وإن لمعروفه عندي لشكرا كثيراً ، وإن عندي

إن أغفل أمري عذرا ممهدا ، فقال : لا ولكن تضمن لي إن أبطأ عنك ماتحبه أن لاتعجل عليه حتى تكتب إليّ ، قال : نعم ، قال : امض إذاً على الطائر الميمون ، قال : فقدم عباد خراسان وقيل سجستان ، فاشتغل بحروبه وخراجه فاستبطأه ابن مفرغ ولم يكتب لأخيه عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ، ولكنه بسط لسانه فذمه وهجاه .

وكان عبادا كبير اللحية كأنها جوالق ، فسار ابن مفرغ مع عباد فدخلت الريح فيها فنفشتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان إلى جنبه :

ألاليت اللحى كانت حشيشا فنعلفها خيول المسلمينا

فسعى به اللخمي إلى عباد فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال : لاتجمل بي عقوبته في هذه الساعة مع صحبته لي ، وما أوخرها إلا لأشفي نفسي منه ، فإنه كان يقوم فيشتم أبي في عدة مواضع .

وبلغ الخبر ابن مفرغ فقال : إني لأجد ريح الموت من عباد ، ثم دخل عليه فقال : أيها الأمير إني قد كنت مع سعيد بن عثمان وقد بلغك رأيه في وجميل أثره علي ، وقد اخترتك عليه فلم أحظ منك بطائل ، وأريد أن تأذن لي بالرجوع فلاحاجة لي في صحبتك ، فقال له : أما اختيارك إياي فقد اخترتك كما اخترتني ، واستصحبتك حين سألتني وقد أعجلتني عن بلوغ حجتي فيك ، وطلبت الإذن لترجع إلى قومك فتفضحني فيهم وأنت على الإذن قادر بعد أن أقضي حقك .

وبلغ عبادا أنه يسبه ويذكره وينال من عرضه ، فدس إلى قوم كان لهم عليه دين أن يقدموه إليه ففعلوا فحبسه وأضرّ به ، ثم بعث إليه بعني

الأراكة وبرداً ، وكانت الأراكة قينة لابن مفرغ ، وبرد غلامه ، رباهما وكان شديد الضن بهما ، فبعث إليه ابن مفرغ مع الرسول : أيبيع المرء نفسه وولده ؟ فأخذهما عباد منه ، وقيل إنه باعهما عليه ، فاشتراهما رجل من أهل خراسان ، فلما دخلا منزله قال له برد وكان داهية أديباً : أتدري ماشتريت ؟ قال : نعم اشتريتك وهذه الجارية ، قال لا والله ماشتريت إلا العار والدمار والفضيحة أبداً ماحييت ، فجزع الرجل وقال له : كيف ذاك ويلك ؟ قال : نحن ليزيد ابن مفرغ ، ووالله ماأصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشره ، أفتراه يهجوعباداً وهو أمير خراسان وأخوه عبيدالله أمير العراقين ، وعمه الخليفة معاوية بن أبي سفيان في أن استبطاه ، ويمسك عنك وقد ابتعتني وابتعت هذه الجارية وهي نفسه التي بين جنبيه ؟ ووالله ماأرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته منزلك ، فقال : أشهدك انك وإياها له ، فإن شئتما أن تمضيا إليه فامضيا ، وعلى أني أخاف على نفسي- إن بلغ ذلك ابن زياد ، وإن شئتما أن تكونا له عندي فافعلا ، قال : فاكتب إليه بذلك ، فكتب الرجل إلى ابن مفرغ إلى الحبس بمافعله ، فكتب إليه يشكرفعله ، وسأله أن يكونا عنده حتى يفرج الله عنه .

وقال عباد لحاجبه : ماأرى هذا ، يعني ابن مفرغ يبالي بالمقام في الحبس ، فبع فرسه وسلاحه وأثاثه واقسم ثمنها بين غرمائه ، ففعل ذلك وبقيت عليه بقية حبسه بها ، فقال ابن مفرغ في بيعهما :

شريت برداً ولو ملكت صفقته     لما تطلبت في بيع له رشدا

لولاالدعيّ ولولا ماتعرض لي ... من الحوادث مافارقته أبـــدا
يابرد مامسنا دهر أضر بـنا ... من قبل هذا ولابعنا له ولـدا

معنى شريت : بعت ، وهو من الأضداد يقع على الشراء والبيع ، والأبيات أكثر من هذا فتركت الباقي .

وعلم ابن مفرغ أنه إن أقام على ذم عباد وهجائه وهو في حبسه زاد نفسه شراً ، فكان يقول للناس إذا سألوه عن حبسه ماسببه : قال رجل أدبه أميره ليقوم من أوده ويكف من غربه ، وهذا لعمري خير من جر الأمير ذيله على مداهنة صاحبه ، فلما بلغ ذلك عبادا رقّ له وأخرجه من السجن فهرب حتى أتى البصرة ثم خرج منها إلى الشام ، وجعل يتنقل في مدنها هاربا ويهجو زيادا وولده ، فمن ذلك قوله في ترك سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه وأتباعه عباد بن زياد ويذكر بيع برد عليه :

أصْرَمتَ حبلك من أمامه ... من بعد أيام برامـــــه
فالريح تبكي شجوهـــــا ... والبرق يضحك في الغمامه
لهفي على الأمر الـــذي ... كانت عواقبه ندامـــــه
تركي سعيدا ذا الندى ... والبيت ترفعه الدعامـــه
ليثا إذا شهد الــوغى ... ترك الهوى ومضى أمامه
فتحت سمـرقند لـــــه ... وبنى بعرصتها خيامـــه
وتبعت عبد بني عــــلا ... ج ، تلك أشراط القيامه
جاءت بــــه حبشية ... سكاء تحسبها نعامـــــه
من نسوة سود الوجـــــو ... ه ترى عليهن الدمامـــه
وشريت بـــــرداً ليتني ... من بعد برد كنت هامـه

هامة إذا تدعو صـــــدى　　بين المشقر واليمامـــــه
فالهول يركبه الفـــــتى　　حَذَرَ المخازي والسآمـــه
والعبد يقرع بالعصـــــى　　والحر تكفيه الملامـــــه

قال ابن خلكان : { قلت } قوله : وتبعت عبد بني علاج بنو علاج بطن من ثقيف ، وسيأتي ذكره عند ذكر الحارث بن كلدة في هذه الترجمة إن شاء الله تعالى ، قاله أبوبكر ابن دريد في كتاب ( الاشتقاق ) وأنشد عليه :

آل أبي بكرة استفيقوا　　هل تعدل الشمس بالسراج
إن ولاء النبي أعــــلى　　من دعوة في بني عــــلاج

وهذا القول له سبب يذكر عند ذكر أبي بكرة نفيع بن الحارث في هذه الترجمة إن شاءالله تعالى .

وقوله في البيت الآخر : سكاء تحسبها نعامه ، يقال أذن سكاء ، إذا كانت صغيرة ، والسكاء أيضا التي لاأذن لها ، والعرب تقول : كل سكاء تبيض ، وكل شرفاء تلد ، والشرفاء : التي لها أذن طويلة ، والسكاء ، بفتح السين المهملة وتشديد الكاف ، والشرفاء ، بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وبعدها فاء ، والضابط عندهم فيه أن كل حيوان له أذن ظاهرة فإنه يلد ، وكل حيوان ليست له أذن ظاهرة فإنه يبيض .

قال الراوي : ثم إن ابن مفرّغ لج في هجاء بني زياد ، حتى تغنى أهل البصرة في أشعاره ، فطلبه عبيدالله طلبا شديداً حتى كاد يؤخذ ، فلحق بالشام ، واختلفت الرواة فيمن رده إلى ابن زياد . فقال بعضهم :

رده معاوية بن أبي سفيان ، وقال بعضهم : بل رده يزيد بن معاوية ،والصحيح أنه يزيد لأن عباداً إنما ولي سجستان في أيام يزيد .

ثم قال ابن خلكان : { قلت } ثم ذكر صاحب ( الأغاني ) عقيب هذا الفصل أن سعيد بن عثمان ابن عفان رضي الله عنه دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال له : علام جعلت ولدك يزيد ولي عهدك دوني ؟ فوالله لأبي خير من أبيه وأمي خير من أمه وأنا خير منه ، وقد وليناك فما عزلناك وبنا نلت مانلت ، فقال له معاوية : أما قولك إن أباك خير من أبيه فقد صدقت ، لعمرالله إن عثمان لخير مني ، وأما قولك إن أمك خير من أمه فحسب المرأة ان تكون في بيت قومها وأن يرضاها بعلها وينجب ولدها ، وأما قولك إنك خير من يزيد فوالله يابني مايسرني أن لي بيزيد ما الغوطة مثلك ، وأما قولك : إنكم وليتموني فما عزلتموني ، فما وليتموني وإنما ولاني من هو خير منكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأقررتموني وماكنت بئس الوالي لكم ، لقد قمت بثأركم وقتلت قتلة أبيكم وجعلت الأمر فيكم وأغنيت فقيركم ورفعت الوضيع منكم ، فكلمه يزيد في أمره فولاه خراسان .

رجعنا إلى حديث ابن مفرّغ ، قال الراوي : ولم يزل يتنقل في قرى الشام ويهجوبني زياد وأشعاره تنقل إلى البصرة ، فكتب عبيدالله بن زياد أمير العراق إلى معاوية ، وقيل إلى يزيد وهو الأصح يقول : إن ابن مفرغ هجا زياداً وبني زياد بما هتكه في قبره ، وفضح بنيه طول الدهر ، وتعدى إلى أبي سفيان فقذفه بالزنا وسب ولده ، وهرب من سجستان وطلبتُه حتى لفظته الأرض ، وهرب من الشام يتمضغ لحومنا ويهتك

أعراضنا ، وقد بعثت إليك بما قد هجانا به لتنتصف لنا منه ، ثم بعث بجميع ماقاله ابن مفرغ فيهم ، فأمر يزيد بطلبه فجعل يتنقل في البلاد حتى لفظته الشام ، فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قيس .

ثم قال ابن خلكان : ( قلت ) وهو الذي يضرب به المثل في الحلم ، وقد سبق ذكره واسمه الضحاك قال : فاستجار به ، فقال له الأحنف : إني لاأجير على ابن سمية فأغرك ، وإنما يجير الرجل على عشيرته وأما على سلطانه فلا . ثم إنه مشى على غيره فلم يجره أحد ، فأجاره المنذر بن الجارود العبدي ، وكانت ابنته تحت عبيدالله بن زياد ، وكان المنذر من أكرم الناس عليه ، فاغتر بذلك وأدلّ بموضعه منه ، وطلبه عبيدالله وقد بلغه وروده البصرة فقيل له : أجاره المنذر بن الجارود ، فبعث عبيدالله إلى المنذر فأتاه ، فلما دخل عليه بعث عبيدالله بالشرط فكبسوا داره وأتوه بابن المفرغ ، فلم يشعر ابن الجارود إلا بابن المفرغ قد أقيم على رأسه ، فقام ابن الجارود إلى عبيدالله فكلمه فيه فقال : أذكرك الله أيها الأمير أن تخفر جواري فإني قد أجرته ، فقال عبيدالله : يامنذر ، اللهَ ليمدحن أباك ويمدحنك وقد هجاني وهجا أبي ثم تجيره علي ! لاها الله لايكون ذلك أبداً ولاأغفرها له ، فغضب المنذر فقال له : لعلك تدلي بكريمتك عندي ، إن شئت والله لأبينها بتطليق البته ، فخرج المنذر من عنده .

وأقبل عبيدالله على ابن مفرّغ فقال له : بئس ماصنعت به عباداً ، فقال : بل بئس ماصحبني عباد ، اخترته على سعيد بن عثمان وأنفقت على صحبته جميع ماأملكه ، وظننت أنه لايخلو من عقل زياد وحلم معاوية وسماحة قريش فعدل عن ظني كله ، ثم عاملني بكل قبيح وتناولني بكل

مكروه من حبس وغُرم وشتم وضرب ، فكنت كمن شام برقاً خُلَّباً في سحاب جهام فأراق ماءه طمعا فيه فمات عطشاً ، وماهربت من أخيك إلا لما خفت أن يجري فيّ مايندم عليه ، وقد صرت الآن في يديك فشأنك فاصنع بي ماشئت ، فأمر بحبسه وكتب إلى يزيد بن معاوية يسأله أن يأذن له في قتله ، فكتب إليه يزيد : إياك وقتله ، ولكن تناوله بما ينكله ويشد سلطانك ولايبلغ نفسه ، فإن له عشيرة هي جندي وبطانتي ، ولاترضى بقتله مني ولاتقنع إلا بالقود منك ، فاحذر ذلك ، واعلم أنه الجد منهم ومني وأنك مرتهن بنفسه ، ولك في دون تلفها مندوحة تشفي من الغيظ . فورد الكتاب على عبيدالله ، فأمر بابن مفرّغ فسقي نبيذاً حلواً قد خلط معه الشبرم ، وقيل التربذ ، ( التربذ : راسب زئبقي أصفر ) فأسهل بطنه فطيف به وهو على تلك الحال ، وقرن بهرة وخنزيرة ، فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون ، وألح عليه مايخرج منه حتى أضعفه فسقط ، فقيل لعبيدالله لانأمن أن يموت ، فأمر به أن يغسل ففعلوا ، فلما اغتسل قال :

يغسل الماء مافعلت وقولي　　　راسخ منك في العظام البوالي

فرده عبيدالله إلى الحبس ، وقيل لعبيدالله : كيف اخترت له هذه العقوبة ؟ فقال : لأنه سلح علينا فأحببت أن تسلح الخنزيرة عليه .

وكان مما قاله ابن مفرغ في عباد بن زياد من جملة أبيات عديدة :

إذا أودي معاوية ابن حرب　　　فبشر شعب قعبك با نصداع

فأشهد أن أمك لم تباشر　　　أبا سفيان واضعة القناع

ولكن كان أمرا فيه لبس　　　على وجل شديد وارتياع

وقال ايضاً :

ألا أبلغ معـــاوية ابن صخر ‏ ‏ مغلغلة عن الرجـــل اليماني

أتغضب أن يقال أبوك عف ‏ ‏ وترضى أن يقال أبوك زاني

فأشهد أن رحمك من زياد ‏ ‏ كرحم الفـيل من ولد الأتان

وأشهد أنها ولدت زيـــاداً ‏ ‏ وصخر من سمية غـــيرُدان

قال ابن خلكان : ( قلت ) قـوله : فأشـهد أن رحمـك مـن زياد ، البيت الثالث ، أخذه من قول أبي الوليـد ، وقيـل أبي عبـدالرحمن حسـان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه في بيت من جملة أبيات وهي قوله :

لعمرك إن إلّك من قريش ‏ ‏ كإلّ السقب من رأل النعام

الإل : بكسر الهمـزة وتشـديداللام وهـو الـرحم ، والسـقب بفـتح السـين المهمـلة وسـكون القـاف وبعـدها باء موحـدة ، وهـو الذكر مـن ولد الناقة ، والرأل بفتح الراء وبعدها همزة وفي آخرها لام ، وهو ولد النعام .

وهـذه الأبيـات قالهـا حسـان في أبي سـفيان بـن الحـارث بـن عبدالمطلب ابن هاشم ، وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان أخاه من الرضاعة ، أرضعتهما حليمـة ابنـة ابي ذؤيـب السـعدية ، وكان مـن أكثر الناس شبها برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له فيـه هجاء ، وكان حسان يجاوب عنه ، فمن ذلك هـذه الأبيـات الميميـة المقـدم ذكرهـا ، ومنهـا قوله :

ألا أبلغ أبا سفيان عـــني ‏ ‏ مغلغلة فقد برح الخفاء

هجوت محمداًفأجبت عـــنه ‏ ‏ وعندالله في ذاك الجـزاء

أتهجوه ولست له بكفـــوءٍ ‏ ‏ فشركما لخيركما الفـــداء

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقـــاء

وقوله : فشركما لخيركما الفداء ، فيه كلام لأهل العلم لأجل شر وخير لأنهما من أداة التفضيل وتقتضي المشاركة . وإنما أجابه حسان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له في ذلك .

قال ابن خلكان ( قلت ) والجماعة الذين كانوا يشبهون رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهله خمسة : أبوسفيان المذكور والحسن بن علي بن أبي طالب وجعفر بن أبي طالب وقشم بن العباس بن عبدالمطلب والسائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف ، وهو جد الإمام الشافعي ، رضي الله عنهم أجمعين .

ثم إن أباسفيان أسلم عام الفتح وكان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة وحسن إسلامه ، وخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وحُنين ، ولما انهزم المسلمون يوم حنين كان أبوسفيان أحد السبعة الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى رجع إليهم المسلمون ، وكانت النصرة لهم وكسبوا من الغنائم ستة آلاف رأس من الرقيق ، ثم منّ النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فأطلقهم ، والشرح في ذلك يطول وليس هذا موضعه .

وكان أبوسفيان المذكور يومئذ ممسكا لجام بغلة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إني لأرجو أن يكون فيه خلف من حمزة بن عبد المطلب وشهد له بالجنة فقال : أبو سفيان بن الحارث من شباب أهل الجنة أوسيد فتيان أهل الجنة والله أعلم . وأكثر العلماء يقولون : اسمه كنيته ليس له اسم سواها ، وقيل إن

اسمه المغيرة ، وقيل المغيرة أخوه وهو أبو سفيان لاغير . ويقال إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه لما تقدم من هجائه .

رجعنا إلى حديث ابن مفرغ وهو من شعراء الحماسة وهو القائل :

ألا طرقتنا آخرالليل زينب  عليك سلام هل لما فات مطلب

قيل أراد بالليل الشباب .

وقالت تجنبنا ولاتقربننا  فكيف وأنتم حاجتي أتجنب

يقولون هل بعد الثلاثين ملعب  فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب

لقد جلّ خطب الشيب إن كان كلما  بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

وذكر المظفري الأندلسي في تاريخه الكبير في جملة هذه الأبيات :

فلو أن لحمي إذ وهى لعبت به  كرام ملوك أو أسود وأذؤب

لهوّن من وجدي وسلّى مصيبتي  ولكنما أودي بلحميّ أكلب

ولما بلغ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وفاة معاوية ابن أبي سفيان وبيعة ولده يزيد بن معاوية ، عزم على قصد الكوفة بمكاتبة جماعة من أهلها كما هو مشهور في هذه الواقعة التي قتل فيها الحسين رضي الله عنه ، فكان في تلك المدة يتمثل كثيراً بقول يزيد بن مفرغ المذكور من جملة أبيات :

لاذعرت السوام في غلس الصبـ  ـح مغيرا ولادعيت يزيدا

يوم أعطي على المخافة ضيما  والمنايا يرصد نني أن أحيدا

فعلم من سمع ذلك منه أنه سينازع يزيد بن معاوية في الأمر ، فخرج الحسين إلى الكوفة وأميرها يومئذ عبيدالله بن زياد ، فلما قرب منها

سير إليه جيشا مقدمه عمر بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، فقتل الحسين رضي الله عنه بالطف وجرى ماجرى .

وروي أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى الحسين رضي الله عنه : إني لأظن في رأسك نزوة ولابد لك من إظهارها ، وددت لو أدركتها فأغتفرها لك . وروي عن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أنه قال : لوكنت من قتلة الحسين وغفرالله لي وأدخلني الجنة لما دخلتها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عبيدالله بن زياد لحارثة بن بدر الغداني : ماتقول فيّ وفي الحسين يوم القيامة ؟ قال : يشفع له أبوه وجده صلى الله عليه وسلم ، ويشفع لك أبوك وجدك ، فاعرف من هاهنا ماتريد .

ثم قال ابن خلكان : ونقلت من كتاب تاريخ شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزغلي المعروف بسبط الحافظ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي الواعظ الذي سماه ( مرآة الزمان ) ورأيته بخطه في أربعين مجلداً بدمشق ، وقد رتبه على السنين فقال : في السنة التاسعة والخمسين للهجرة بعد أن قص حديث يزيد بن مفرغ مع بني زياد فقال في آخر الحديث : ومات يزيد بن مفرغ في سنة تسع وستين يعني للهجرة ، والله أعلم . وقال أبو اليقظان في كتاب ( النسب ) مات عباد بن زياد في سنة مائة للهجرة بجَرود .

قال ابن خلكان قلت : وجَرُود بفتح الجيم وضم الراء وسكون الواو وبعدها دال مهملة وهي قرية من أعمال دمشق من جهة حمص ، ويكون في أرضها من حمير الوحش شيء كثير يجاوز الحصر ، ولما وصل

بعض عسكر الديار المصرية إلى الشام في أثناء سنة ستين وستمائة وتوجهوا بعسكر الشام إلى أنطاكية وكنت يومئذ بدمشق أقاموا عليها قليلا ، ثم عادوا فدخلوا دمشق في سلخ شعبان من السنة ، وأخبرني بعضهم بقضية غريبة يصلح أن تذكر هاهنا لغرابتها ، وهي أنهم نزلوا على جرود المذكورة واصطادوا من الحمر الوحشية شيئا كثيرا على ماقالوا ، فذبح واحد من الجماعة حمارا وطبخ لحمه الطبخ المعتاد فلم ينضج ولاقارب النضج ، فزاد في الحطب والإيقاد فلم يؤثر فيه شيئا ، ومكث يوما كاملا يفعل ذلك وهو لايفيد ، فقام شخص من الجند وأخذ الرأس يقلبه فوجد على أذنه وسماً فقرأه فإذا هو ( بهرام جور ) فلما وصلوا إلى دمشق أحضروا تلك الأذن عندي فوجدت الوسم ظاهراً ، وقد رق شعر الأذن إلى أن بقي كالهباء وبقي موضع الوسم أسود وهو بالقلم الكوفي .

وهذا بهرام جور من ملوك الفرس ، وكان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ، وكان من عادته أنه إذا كثر عليه مايصطاده وسمه وأطلقه ، والله أعلم كم كان عمر الحمار لما وسمه ، والله يعلم لو تركوه ولم يذبحوه كم كان يعيش . وعلى الجملة فإن حمار الوحش من الحيوانات المُعَمِّرة ، وهذا الحمار لعله عاش ثمانمائة سنة أوأكثر .

وهذه جرود في أرضها جبل المدخّن المشهور ، وقد ذكره أبونواس في قصيدته التي ذكر فيها المنازل لما قصد الخصيب بمصر فقال :

ووافين إشراقا كنائس تدمر    وهنّ إلى رعن المُدخِّن صور

والمدخن بضم الميم وبالدال المهملة وفتح الخاء المعجمة المشددة وبعدها نون ، وسمي المدخن لأنه لايزال عليه مثل الدخان من الضباب .

ثم بعد هذا وجدت في كتاب ( مفاتيح العلوم ) تأليف محمد بن احمد بن محمد بن يوسف الخوارزمي أن بهرام جور بن بهرام بن سابور الجنود بن سابور ذي الأكتاف ، سمي بهرام جور لأنه كان مولعا بصيد العَير ، وهو الحمار الوحشي والأهلي أيضا ، إنتهى كلامه ، ثم إني حسبت مدة ملكهم بعد هذا فكانت إلى سنة الهجرة النبوية مقدار مائتين وست عشر سنة ، ، فقد عاش هذا الحمار منذ وسَمَهُ بهرام جور إلى أن ذبح في سنة ستين وستمائة مقدار ثمانمائة سنة وأكثر والله أعلم .

قال ابن خلكان : ( قلت ) وقد تكرر في هذه الترجمة حديث زياد وبنيه وسمية وأبي سفيان ومعاوية ، وهذه الأشعار التي قالها يزيد بن مفرغ فيهم ، ومن لايعرف هذه الأسباب قد يتشوف إلى الإطلاع عليها ، فنورد منها شيئا مختصراً فأقول : إن أبا الجبر الملك الذي ذكره أبوبكر ابن دريد في المقصورة المشهورة في البيت الذي يقوله فيها وهو :

وخامرت نفس أبي الجبر الجوى حتى حواه الحتف فيمن قد حوى

كان أحد ملوك اليمن واسمه كنيته ، وقيل هو أبو الجبر يزيد بن شرحبيل الكندي ، وقيل أبو الجبر بن عمرو ، وتغلب عليه قومه فخرج إلى بلاد فارس يستجيش كسرى عليهم فبعث معه جيشا من الأساورة ، فلما صاروا إلى كاظمة ونظروا إلى وحشة بلاد العرب وقلة خيرها قالوا : إلى أين نمضي مع هذا ؟ فعمدوا إلى سم فدفعوه إلى طباخه ووعدوه بالإحسان إليه إن ألقى ذلك السم في طعام الملك ففعل ذلك ، فمااستقر الطعام في جوفه حتى اشتد وجعه ، فلما علم الأساورة ذلك دخلوا عليه

فقالوا له : إنك قد بلغت إلى هذه الحالة فاكتب لنا إلى الملك كسرى أنك قد أذنت لنا في الرجوع فكتب لهم بذلك .

ثم إن أبا الجبر خف مابه فخرج إلى الطائف البُليدة التي بالقرب من مكة وكان بها الحارث بن كلدة طبيب العرب الثقفي فعالجه فأبرأه ، فأعطاه سمية ، بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد الياء المثناة من تحتها وفي آخرها هاء ، وعبيدا بضم العين المهملة تصغير عبد ، وكان كسرى قد أعطاهما أبا الجبر في جملة ماأعطاه ، ثم ارتحل أبو الجبر يريد اليمن فانتفضت عليه العِلة فمات في الطريق .

ثم إن الحارث بن كَلَدَة الثقفي زوّج عُبيداً المذكور سمية المذكورة فولدت سمية زيادا على فراش عُبيد ، وكان يقال له زياد بن عُبيد ، وزياد بن سمية وزياد ابن أبيه وزياد ابن أمه ، وذلك قبل أن يستلحقه معاوية كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، وولدت سمية أيضا أبابكرة نفيع بن الحارث بن كلدة المذكور ، ويقال نفيع بن مسروح وهو الصحابي المشهور بكنيته رضي الله عنه ، وولدت أيضا شبل بن معبد ونافع بن الحارث ، وهؤلاء الإخوة الأربعة هم الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزنا ، وسيأتي خبر ذلك بعد الفراغ من حديث زياد إن شاء الله تعالى . وكان أبو سفيان صخر بن حرب الأموي والد معاوية بن أبي سفيان يتهم في الجاهلية بالتردد إلى سمية المذكورة ، فولدت سمية زيادا في تلك المدة ، لكنها ولدته على فراش زوجها عُبيد . ثم إن زيادا كبر وظهرت منه النجابة والبلاغة ، وهو أحد الخطباء المشهورين في العرب بالفصاحة والدهاء والعقل الكثير حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد استعمل أبا موسى الأشعري

رضي الله عنه على البصرة فاستكتب زياد ابن أبيه . ثم إن زيادا قدم على عمر رضي الله عنه من عند أبي موسى فأعجب به عمر رضي الله عنه ، فأمر له بألف درهم ثم تذكرها بعد مامضى. فقال : لقد ضاع ألف أخذها زياد ، فلما قدم عليه بعد ذلك قال له : مافعل ألفك يازياد ؟ قال : اشتريت بها عُبيدا فأعتقته ، يعني أباه ، قال : ماضاع ألفك يازياد ، هل أنت حامل كتابي إلى أبي موسى في عزلك عن كتابته ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين إن لم يكن ذلك عن سخطة ، قال : ليس عن سخطة ، قال : فَلِمَ تأمره بذلك ؟ قال : كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك . واستكتب أبوموسى بعد زياد أبا الحصين ابن أبي الحر العنبري ، فكتب إلى عمر رضي الله عنه كتابا فلحن في حرف منه ، فكتب إليه أن قنِّع كاتبك سوطاً .

وكان عمر رضي الله عنه إذا وفد إليه من البصرة رجل أحب أن يكون زيادا ليشفيه من الخبر . وكان عمر رضي الله عنه قد بعثه في إصلاح فساد وقع باليمن فرجع من وجهه ، وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها ، فقال عمرو ابن العاص : أما والله لوكان هذا الغلام من قريش لساق العرب بعصاه ، فقال أبو سفيان : والله إني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه ، فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ومن هو ياأبا سفيان ؟ قال : أنا ، قال : مهلا أباسفيان ، فقال أبو سفيان :

أماوالله لولاخوف شخص ... يراني ياعليّ من الأعادي
لأظهرسره صخر بن حرب ... ولم يكن المقالة عن زياد
وقد طالت مجاملتي ثقيفا ... وتركي فيهم ثمر الفؤاد

فلما صار الأمر إلى علي رضي الله عنه وجه زيادا إلى فارس ، فضبط البلاد وحمى وجبى وأصلح الفساد ، فكاتبه معاوية يروم إفساده على علي رضي الله عنه ، فلم يفعل ووجه بكتابه إلى علي وفيه شعر تركته ، فكتب إليه علي : إنما وليتك ماوليتك وأنت أهل لذلك عندي ، ولن تدرك ماتريده مما أنت فيه إلا بالصبر واليقين ، وإنما كانت من أبي سفيان فلتة زمن عمر رضي الله عنه لاتستحق بها نسبا ولاميراثا ، وإن معاوية يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه فاحذره ثم احذره والسلام . فلما قرأ زياد الكتاب قال : شهد لي أبو الحسن ورب الكعبة ، فذلك الذي جرّا زيادا ومعاوية على ماصنعا .

فلما قتل علي رضي الله عنه وتولى ولده الحسن رضي الله عنه ثم فوّض الأمر إلى معاوية كما هو مشهور ، أراد معاوية إستمالة زياد إليه وقصد تأليف قلبه ليكون معه كماكان مع علي رضي الله عنه ، فتعلق بذلك القول الذي صدر من أبيه بحضرة علي وعمرو بن العاص ، فاستلحق زيادا في سنة أربع وأربعين للهجرة ، فصار يقال له زياد بن أبي سفيان . فلما بلغ أخاه أبابكرة أن معاوية استلحقه وأنه رضي ذلك حلف يمينا ان لايكلمه أبداً وقال : هذا زنىّ أمه وانتفى من أبيه ، والله ماعلمت سمية رأت أباسفيان قط ، ويله مايصنع بأم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أيريد أن يراها ، فإن حجبته فضحته وإن رآها فيالها مصيبة ، يهتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة عظيمة . وحج زياد في زمن معاوية ودخل المدينة فأراد الدخول على أم حبيبة لأنها أخته على زعمه وزعم معاوية ، ثم ذكر قول أخيه أبي بكرة فانصرف عن

ذلك . وقيل إن أم حبيبة حجبته ولم تأذن له في الدخول عليها ، وقيل إنه حج ولم يزر من أجل قول أبي بكرة ، وقال : جزى الله أبابكرة خيراً فمايدع النصيحة على حال .

وقدم زياد على معاوية وهو نائب عنه وحمل معه هدايا جليلة من جملتها عقد نفيس فأعجب به معاوية فقال زياد : ياأمير المؤمنين دوخت لك العراق وجبيت لك برها وبحرها وحملت إليك لبها وسرها ، وكان يزيد بن معاوية جالسا فقال له : أما إنك إذ فعلت ذلك فإنا نقلناك من ثقيف إلى قريش ، ومن عبيدٍ إلى أبي سفيان ، ومن القلم إلى المنابر ، فقال له معاوية : حسبك وريت بك زنادي .

وقال أبوالحسن المدائني : أخبرنا أبو الزبير الكاتب عن أبي إسحاق قال : اشترى زياد أباه عُبيداً ، فقدم زياد على عمر رضي الله عنه فقال له : ماصنعت بأول شيء أخذت من عطائك ؟ قال : اشتريت به أبي ، قال : فأعجب ذلك عمر رضي الله عنه ، وهذا ينافي استلحاق معاوية إياه ، والله أعلم .

ولما ادعى معاوية زيادا دخل عليه بنو أمية وفيهم عبدالرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم الأموي فقال : يامعاوية لولم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة ، فأقبل معاوية على أخيه مروان بن الحكم وقال : أخرج عنا هذا الخليع ، فقال مروان : والله إنه لخليع مايطاق ، قال معاوية : والله لولاحلمي وتجاوزي لعلمت أنه يطاق ، ألم يبلغني شعره فيّ وفي زياد ؟ ثم قال لمروان : أسمعنيه فقال :

ألا أبلغ معـــــاوية ابن صخر لقد ضاقت بما تـأتي اليدان

أتغضب أن يقال أبوك عفٌّ ... وترضى أن يقال أبــوك زان

وقد تقدم ذكر بقية هذه الأبيات منسوبة إلى يزيد بن مُفَرِّغ وفيها خلاف ، هل هي ليزيد بن مفرغ أم لعبدالرحمن بن الحكم ، فمن رواها لابن مفرغ روى البيت الأول على تلك الصورة ، ومن رواها لعبدالرحمن رواها على هذه الصورة .

ولما استلحق معاوية زياداً وقربه وأحسن إليه وولاه صار من أكبر الأعوان على بني علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، حتى قيل إنه لما كان أمير العراقين طلب رجلا من أصحاب الحسن بن علي رضي الله عنهما يعرف بابن سرح وكان في الأمان الذي كتب لأصحاب الحسن رضي الله عنه لما نزل عن الخلافة لمعاوية ، فكتب الحسن إلى زياد ، من الحسن إلى زياد : أمابعد فقد علمت ماكنا أخذنا لأصحابنا من الأمان وقد ذكر لي ابن سرح أنك عرضت له فأحب أن لاتعرض له إلا بخير ،. والسلام . فلما أتاه الكتاب وقد بدأ فيه بنفسه ولم ينسبه إلى أبي سفيان غضب وكتب إليه : من زياد ابن أبي سفيان إلى الحسن ، أمابعد فإنه أتاني كتابك في فاسق تؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك ، وأيم الله لأطلبنه ولو كان بين جلدك ولحمك ، وإن أحب الناس إليّ لحما أن آكله للحمٍ أنت منه . فلما قرأه الحسن رضي الله عنه بعث به إلى معاوية ، فلما قرأه غضب وكتب إلى زياد : من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد ، أمابعد ، فإن الحسن بن علي بعث إليّ كتابك إليه ، جواب كتابه كان إليك في ابن سرح ، فأكثرت التعجب منه وقد علمت أن لك رأيين : رأي من أبي سفيان ورأي من سمية ، فأما رأيك من أبي سفيان فحلم وحزم ، واما

رأيك من سمية فكما يكون رأي مثلها ، ومن ذلك كتابك إلى الحسن تسميه وتعرض له بالفسق ، ولعمري لأنت اولى بذلك منه ، فإن كان الحسن بدأ بنفسه إرتفاعاً عنك فإن ذلك لن يضعك ، وأما تركك تشفيعه فيما شفع فيه إليك لحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك ، فإذا أتاك كتابي فخلّ مابيدك لابن سرح ولاتعرض له فيه ، فقد كتبت إلى الحسن يخيّره : إن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلى بلده ، وإنه ليس لك عليه سبيل بيد ولالسان ، وأما كتابك إلى الحسن باسمه ولاتنسبه إلى أبيه ، فإن الحسن ويحك ممن لايرمى به الرجوان ، أفأستصغرت أباه ، وهو علي بن أبي طالب ؟ أم إلى أمه وكلته وهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فذلك أفخر له إن كنت عقلت ، والسلام .

قوله : لايرمى به الرجوان ، بفتح الراء والجيم ، وهو لفظ مثنى ، ومعناه المهالك .

قال ابن خلكان : ( قلت ) وقد رويت هذه الحكاية على صورة أخرى وهي : كان سعيد ابن سرح مولى كريز بن حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلما قدم زياد ابن أبيه الكوفة واليا عليها أخافه وطلبه ، فأتى المدينة فنزل على الحسين بن علي رضي الله عنه فقال له الحسين : ما السبب الذي أشخصك وأزعجك ؟ فذكر له قضيته وصنيع زيادبه ، فكتب إليه الحسين : أما بعد فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له مالهم وعليه ماعليهم ، فهدمت داره وأخذت ماله وعياله ، فإذا أتاك كتابي هذا فابن له داره واردد عليه ماله وعياله ، فإني قد أجرته فشفعني فيه ، فكتب إليه زياد : من زياد بن أبي سفيان إلى

الحسين بن فاطمة ، أما بعد فقد أتاني كتابك تبدأ فيه باسمك قبل اسمي وأنت طالب حاجة ، وأنا سلطان وأنت سوقى ، وكتابك إلي في فاسق لايؤويه إلا فاسق مثله ، وشر من ذلك توليه أباك ، وقد آويته إقامة منك على سوء الرأي ورضىً بذلك ، وآيم الله لاتسبقني إليه ولوكان بين جلدك ولحمك ، فإن أحب لحمٍ إلي أن آكله للحمٍ أنت منه ، فأسلمه بجريرته إلى من هو أولى به منك ، فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك ، وإن قتلته لم أقتله إلا بحبه أباك . فلم قرأ الحسين رضي الله عنه الكتاب كتب إلى معاوية يذكر له حال ابن سرح وكتابه إلى زياد فيه وإجابة زياد إياه ، ولف كتابه في كتابه وبعث به إليه ، وكتب الحسين إلى زياد : من الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زياد بن سمية عبد بني ثقيف ( الولد للفراش وللعاهر الحجر ) فلما قرأ معاوية كتاب الحسين رضي الله عنه ضاقت به الشام وكتب إلى زياد : أما بعد ، فإن الحسين بن علي بعث إليّ بكتابك جواب كتابه إليك في ابن سرح ، فأكثرت التعجب منه ، وعلمت أن لك رأيين : أحدهما من أبي سفيان وآخر من سمية ، فأما الذي من أبي سفيان فحلم وحزم ، وأما الذي من سمية فكما يكون رأي مثلها ، ومن ذلك كتابك إلى الحسين تشتم أباه وتعرض له بالفسق ، ولعمري لأنت أولى بالفسق من الحسين ، ولأبوك إذكنت تنسب إلى عُبيد أولى بالفسق من أبيه ، وإن كان الحسين بدأ بنفسه إرتفاعا عنك فإن ذلك لم يضعك ، وأما تشفيعه فيما شفع إليك فيه فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك ، فإذا قدم عليك كتابي هذا فخلّ مافي يدك لسعيد بن سرح ، وابن له داره ولاتعذر له واردد عليه ماله

، فقد كتبت إلى الحسين أن يخبر صاحبه بذلك ، فإن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلى بلده ، فليس لك عليه سلطان بيد ولالسان ، وأما كتابك إلى الحسين باسمه واسم أمه ، لاتنسبه إلى أبيه فإن الحسين ويلك ممن لايرمى به الرجوان ، أفاستصغرت أباه وهو علي بن أبي طالب أإلى أمه ؛ أما إلى أمه وكلته لاأم لك ، فهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلك أفخر له إن كنت تعقل ، والسلام .

وقال عبيدالله بن زياد : ماهجيت بشيء أشد عليّ من قول ابن مفرغ :

فكر ففي ذاك إن فكرت معتـــبر　　هل نلت مكرُمة إلا بتأمـــير
عاشت سمية ماعاشت وماعلمت　　أن ابنها من قريش في الجماهير

وقال قتادة قال زياد لبنيه وقد احتضر : ليت أباكم كان راعيا في أدناها وأقصاها ولم يقع بالذي وقع به .

قال ابن خلكان ( قلت ) فبهذا الطريق كان ينظم ابن مفرغ هذه الأشعار في زياد وبنيه ويقول إنهم أدعياء حتى قال في زياد وأبي بكرة ونافع أولاد سمية :

إن زيادا ونافعا وأبا　　بكرة عندي من أعجب العجب
هم رجال ثلاثة خلقوا　　في رحم أنـــثى وكلهم لأب
ذا قرشي كما يقول وذا　　مولى وهذا بزعمه عـــربي

وهذه الأبيات تحتاج إلى زيادة إيضاح فأقول ، قال أهل العلم بالأخبار : إن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غِيَرَة ابن عوف بن قَسي وهو ثقيف هكذا ساق هذا النسب

ابن الكلبي في كتاب ( الجمهرة ) وهو طبيب العرب المشهور ، ومات في أول الإسلام وليس يصح إسلامه ، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن أبي وقاص أن يأتي الحارث يستوصفه في مرض نزل به ، فدل ذلك على أنه جائز أن يشاور أهل الكفر في الطب إذا كانوا من أهله . وكان ولده الحارث بن الحارث من المؤلفة قلوبهم ، وهو معدود في جملة الصحابة رضي الله عنهم ، ويقال إن الحارث بن كلدة كان رجلا عقيما لايولد له ، وإنه مات في خلافة عمر رضي الله عنه .

ولما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف قال : أيما عبدٌ تدلى إليّ فهو حر ، فنزل أبوبكرة رضي الله عنه من الحصن في بَكرة . ( قلت ) وهي بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وبعدها راء ثم هاء ، وهي التي تكون على البئر وفيها الحبل يستقى به ، والناس يسمونها بكرة بفتح الكاف وهو غلط ، إلا أن صاحب كتاب ( مختصر العين ) حكاها بالفتح أيضا وهي لغة ضعيفة لم يحكها غيره ، قال : فكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكرة لذلك ، وكان يقول : انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأراد أخوه نافع أن يدلي نفسه في البكرة أيضا فقال له الحارث بن كلدة : أنت ابني فأقم فأقام ونسب إلى الحارث ، وكان أبوبكرة قبل أن يحسن إسلامه ينسب إلى الحارث أيضا ، فلما حسن إسلامه ترك الإنتساب إليه . ولما هلك الحارث بن كلدة لم يقبض أبوبكرة من ميراثه شيئا تورعاً ، هذا عند من يقول : إن الحارث أسلم وإلا فهو محروم من الميراث لاختلاف الدين .

فلهذا قال ابن مُفرّغ الأبيات البائية ، لأن زيادا ادعى انه قرشي باستلحاق معاوية له ، وأبوبكرة اعترف بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونافع كان يقول إنه ابن الحارث بن كلدة الثقفي ، وأمهم واحدة وهي سمية المذكورة . وهذا سبب نظم البيتين في آل أبي بكرة كما تقدم ذكره وعلاج جد الحارث بن كلدة كما ذكرته .

هذه قصة زياد وأولاده ذكرتها مختصرة . ( قلت ) إلا أن قول ابن مفرغ في البيت الثاني ( وكلهم لأب ) ليس بجيد ، فإن زياداً مانسبه أحد إلى الحارث ابن كلدة بل هو ولد عُبيد لأنه ولد على فراشه . وأما ابوبكرة ونافع فقد نسبا إلى الحارث فكيف يقول ( وكلهم لأب ) فتأمله .

وذكر ابن النديم في كتابه الذي سماه ( الفهرست ) أن أول من ألف كتابا في المثالب زياد ابن أبيه فإنه لما طعن عليه وعلى نسبه عمل ذلك لولده وقال لهم : استظهروا به على العرب فإنهم يكفون عنكم .

وأما حديث المغيرة بن شعبة الثقفي والشهادة عليه ، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد رتب المغيرة أميراً على البصرة ، وكان يخرج من دار الإمارة نصف النهار ، وكان أبوبكرة المذكور يلقاه فيقول : أين يذهب الأمير ؟ فيقول : في حاجة ، فيقول : إن الأمير يزار ولايزور .

قالوا : وكان يذهب إلى إمرأة يقال لها أم جميل بنت عمرو ، وزوجها الحجاج بن عتيك بن الحارث بن وهب الجشمي . وقال ابن الكلبي في كتاب ( جمهرة النسب ) هي أم جميل بنت الأفقم بن محجن بن أبي عمرو بن شعيثة ابن الهزم ، وعدادهم في الأنصار ، وزاد غير ابن الكلبي

فقال : الهزم بن رؤيبة ابن عبدالله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، والله أعلم .

قال الراوي : فبينما أبوبكرة في غرفة مع إخوته وهم نافع وزياد المذكوران وشبل بن معبد ، والجميع أولاد سمية المذكورة فهم إخوة لأم ، وكانت أم جميل المذكورة في غرفة أخرى قبالة هذه الغرفة ، فضربت الريح باب غرفة أم جميل ففتحته ، ونظر القوم فإذاهم بالمغيرة مع المرأة على هيئة الجماع ، فقال أبوبكرة : هذه بلية قد ابتليتم بها فانظروا ، فنظروا حتى أثبتوا ، فنزل أبوبكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة فقال له : إنه قد كان من أمرك ماقد علمت فاعتزلنا ، قال : وذهب المغيرة ليصلي بالناس الظهر ، ومضى أبوبكرة فقال : لاوالله لاتصلي بنا وقد فعلت مافعلت ، فقال الناس : دعوه فليصل فإنه الأمير ، واكتبوا بذلك إلى عمر رضي الله عنه ، فكتبوا إليه فأمرهم أن يقدموا عليه جميعا المغيرة والشهود ، فلما قدموا عليه جلس عمر رضي الله عنه فدعا بالشهود والمغيرة فتقدم أبوبكرة فقال له : رأيته بين فخذيها ؟ قال : نعم والله لكأني انظر إلى تشريم جُدَري بفخذيها ، فقال له المغيرة : لقد ألطفت في النظر ، فقال أبوبكرة : لم آل أن اثبت مايخزيك الله به ، فقال عمر رضي الله عنه : لاوالله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيهاولوج المرود في المكحلة ، فقال له : نعم أشهد على ذلك ، فقال : فاذهب عنك مغيرة ذهب رُبعك ، ثم دعا نافعا فقال له : علام تشهد ؟ قال : على مثل شهادة أبي بكرة ، قال : لا حتى تشهد أنه ولج فيها ولوج الميل في المكحلة ، قال : نعم حتى بلغ قُذَذَه ، ( قلت ) القذذ بالقاف المضمومة وبعدها ذالان معجمتان وهي ريش السهم ، قال

الراوي : فقال له عمر رضي الله عنه " اذهب مغيرة ذهب نصفك ، ثم دعا الثالث فقال له : على ماتشهد ؟ فقال : على مثل شهادة صاحبيّ ، فقال له عمر رضي الله عنه : اذهب عنك مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك .

ثم كتب إلى زياد وكان غائبا فقدم ، فلما رآه جلس له في المسجد واجتمع عنده رؤوس المهاجرين والأنصار ، فلما رآه مقبلا قال : إني أرى رجلا لايخزي الله على لسانه رجلا من المهاجرين . ثم إن عمر رضي الله عنه رفع رأسه إليه فقال : ماعندك ياسلح الحبارى ؟ فقيل إن المغيرة قام إلى زياد فقال : لامخبأ لعطر بعد عروس . ( قلت ) وهذا مثل للعرب لاحاجة إلى الكلام عليه ، فقد طالت هذه الترجمة كثيرا ، قال الراوي : فقال له المغيرة : يازياد اذكر الله تعالى واذكر موقف يوم القيامة ، فإن الله تعالى وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي إلا أن تتجاوز إلى ما لم تر مما رأيت ، فلا يحملنك سوء منظر رأيته على أن تتجاوز إلى ما لم تر ، فوالله لوكنت بين بطني وبطنها مارأيت أن يسلك ذكري فيها ، قال فدمعت عينا زياد واحمر وجهه وقال : يا أمير المؤمنين ، أما إن أحق ماحق القوم فليس عندي ولكن رأيت مجلسا وسمعت نفسا حثيثا وانتهازا ورأيته مستبطنها ، فقال عمر رضي الله عنه : رأيته يدخل كالميل في المكحلة ؟ فقال : لا وقيل قال زياد : رأيته رافعا رجليها فرأيت خصييه تتردد إلى بين فخذيها ورأيت حفزاً شديدا وسمعت نفسا عاليا ،فقال عمر رضي الله عنه : رأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة ؟ فقال لا ! فقال عمر رضي الله عنه : الله أكبر قم إليهم فاضربهم ، فقام إلى أبي بكرة فضربه ثمانين وضرب الباقين ، وأعجبه قول زياد ، ودرأ الحد عن المغيرة .

فقال أبوبكرة بعد أن ضرب : أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا ، فهمّ عمر رضي الله عنه ان يضربه حدا ثانيا فقال له علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : إن ضربته فارجم صاحبك ، فتركه واستتاب عمر أبابكرة فقال : إنما تستتيبني لتقبل شهادتي ، فقال أجل ، فقال : لا أشهد بين اثنين مابقيت في الدنيا . فلما ضربوا الحد قال المغيرة : الله أكبر ، الحمد لله الذي أخزاكم ، فقال عمر رضي الله عنه : بل أخزى الله مكانا رأوك فيه .

وذكر عمر بن شبة في كتاب ( أخبار البصرة ) أن أبا بكرة لما جُلد أمرت أمه بشاة فذبحت وجعلت جلدها على ظهره ، فكان يقال ماذاك إلا من ضرب شديد . وحكى عبدالرحمن بن أبي بكرة أن أباه حلف لايكلم زيادا ماعاش ، فلما مات أبوبكرة كان قد أوصى أن لايصليّ عليه زياد وأن يصلي عليه أبو برزة الأسلمي ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينهما ، وبلغ ذلك زيادا فخرج إلى الكوفة وحفظ المغيرة بن شعبة ذلك لزياد وشكره .

ثم إن أم جميل وافقت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالموسم والمغيرة هناك ، فقال له عمر : أتعرف هذه المرأة يامغيرة ؟ قال : نعم هذه أم كلثوم بنت علي ، فقال له عمر : أتتجاهل عليّ ؟ والله ما أظن أبابكرة كذب عليك ومارأيتك إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء .

قال ابن خلكان : ( قلت ) ذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في أول باب عدد الشهود في كتاب ( المهذب ) وشهد على المغيرة ثلاثة : أبوبكرة ونافع وشبل بن معبد ، وقال زياد : رأيت أستا تنبو ونَفَساً يعلو

ورجلين كأنهما أذنا حمار ، ولاأدري ماوراء ذلك ، فجلد عمر الثلاثة ولم يحد المغيرة .

ثم قال ابن خلكان ( قلت ) وقد تكلم الفقهاء على قول علي رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه إن ضربته فارجم صاحبك ، فقال أبونصر ابن الصباغ المقدم ذكره وهوصاحب كتاب ( الشامل ) في المذهب : يريد أن هذا القول إن كان شهادة اخرى فقد تم العدد ، وإن كان هو الأول فقد جلدته عليه ، والله أعلم .

وذكر عمر بن شبة في ( أخبار البصرة ) أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعني البحرين ، فقال : ومن يشهد لك بذلك ؟ قال المغيرة بن شعبة ، فأبى أن يجيز شهادته .

قال ابن خلكان : ( قلت ) وقد طالت هذه الترجمة وسببه أنها اشتملت على عدة وقائع ، فدعت الحاجة إلى الكلام على كل واحدة منها ، فانتشر القول لأجل ذلك وماخلا عن فوائد .

********

{ فائدة } من تاريخ ابن خلكان ، قال الشيخ نصرالله بن محلي وكان من ثقات أهل السنة : رأيت في المنام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت : يا أمير المؤمنين تفتحون مكة فتقولون : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ثم تم على ولدك الحسين يوم الطف ماتم ، فقال : أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا ؟ فقال اسمعها منه ، ثم استيقظت فبادرت إلى دار حيص بيص يعني ابن الصيفي ، فخرج فذكرت له الرؤيا فشهق وأخشن بالبكاء وحلف بالله إن كانت خرجت من فمي أوخطي إلى أحد ، وإن كنت نظمتها إلا في ليلتي هذه ، ثم أنشدني الأبيات المذكورة :

ملكنا فكان العفو مناسجية　　فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتموا قتل الأسارى وطالما　　غدونا على الأسرى نعف ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا　　وكل وعاء بالذي فيه ينضح

إنتهى . وفي طبقات الصوفية للمناوي قال الإمام الحسن البصري : لوكنت ممن رضي بقتل الحسين وعرضت عليّ الجنة ماقبلتها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها في آخر ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب بعد ماذكر قصة قتله مختصرة : وأما قتل يزيد الحسين بن علي أبغضه وغيره ، وحق لهم أن يبغضوه . قال : وقد أخرج أبويعلى عن أبي عبيدة مرفوعا : لايزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يكون أول من يثله رجل من بني أمية يقال له يزيد ، وقد قال الإمام احمد بن حنبل بكفر يزيد ، وناهيك به ورعا وعلما يقتضيان بأنه لم يقل ذلك إلا لما ثبت عنده من أمور صريحة وقعت منه توجب ذلك . وفيها أخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عامر : أوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلم إني قتلت

بيحيى ابن زكريا سبعين ألفا ، وإني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفا ، صححه الحاكم . وقال الذهبي في التلخيص على شرط مسلم ، وقال الحافظ ابن حجر ورد من طريق رواه علي كرم الله وجهه ورضي عنه عن المصطفى صلى الله عليه وسلم : قاتل الحسين في ضحضاح من نار ، عليه نصف عذاب أهل الدنيا .

( فائدة ) قال الإمام محي الدين النووي في شرح صحيح مسلم : واعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة وماعليه السلف أهل الحق والخلف : أن من مات موحداً دخل الجنة قطعا على كل حال ، فإن كان سالما من المعاصي كالصغير والمجنون الذي اتصل جنونه بالبلوغ ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أوغيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية ، يدخلون الجنة ولايدخلون النار أصلا لكنهم يردونها ، على الخلاف المعروف في الورود الصحيح أن المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على جسر جهنم ، عافانا الله منها ومن سائر المكروه ، وأما من كانت معاصيه كثيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، ولايخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ماعمل ، كما أنه لايدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل ماعمل من أعمال البر ، ثم قال : فهذا مختصر جامع لمذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسئلة . وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به على هذه القاعدة ، وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي . ثم قال الشيخ الإمام محي الدين النووي أيضا : فإذا تقررت هذه القاعدة حمل

عليها جميع ماورد من أحاديث الباب وغيره ، فإذا ورد حديث في ظاهره مخالفة لها وجب تأويله عليها ليجمع بين نصوص الشرع .

( فائدة ) قال الإمام محي الدين النووي رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه الجنة دار القرارفي شرح مسلم قال العلماء : يعرف نسخ الحديث تارة بالنص كقوله صلى الله عليه وآله وسلم ( كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها .، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فامسكوا مابدأ لكم ، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها ولاتشربوا مسكرا ) وتارة بإخبار الصحابي ككان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مسته النار ، وتارة بالتاريخ إذا تعذر الجمع ، وتارة بالإجماع كترك الصلاة وقتل شارب الخمر في المرة الرابعة . قال : والإجماع لاينسخ ولاينتسخ لكن يدل على وجود ناسخ .

قال الإمام محي الدين النووي رضي الله عنه في تهذيبه في حرف الصاد في فضل صنف أصحاب الصفة : زهاد من الصحابة رضي الله عنهم وهم الفقراء الغربا الذين كانوا يأوون إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لهم صفة ، وهي مكان منقطع من المسجد مظلل عليه ، يبيتون فيه ويأوون إليه ، قاله إبراهيم الحربي والقاضي عياض ، وأصله من جهة البيت وهو شيء كالمظلة قدامه . وكان أبوهريرة رضي الله عنه عريفهم حين هاجروا ، وكانوا يقلون ويكثرون ، ففي وقت كانوا سبعين ، وفي آخر غير ذلك فيزيدون بمن تقدم عليهم ، وينقصون بمن يموت أويسافر أويتزوج .

( فائدة ) من قوله في المهذب في الأذان والإقامة : إن إتفق أهل بلدة أوصقع على تركهما الأذان والإقامة قوتلوا . الصقع بضم الصاد وسكون القاف هو الناحية ، والسقع بالسين لغة فيه ، كذا قاله الجوهري وصاحب المحكم ، وقال الأزهري في تهذيبه : اللغة في حرف العين مع الصاد ، والصقع الناحية ، والجمع أصقاع ، وقد صقع فلان نحو صقع كذا أي قصده ، قال الإمام النووي : ثم قال الأزهري في حرف العين مع السين : قال الخليل رحمه الله تعالى : كل صاد تجي قبل القاف ، وكل سين تجي قبل القاف فللعرب فيها لغتان : منهم من يجعلها سيناً ومنهم من يجعلها صاداً ، لايبالوا متصلة كانت أومنفصلة بعد أن تكون في كلمة واحدة ، إلا أن الصاد في بعض أحسن من السين ، والسين في بعضها أحسن . قال : وكل ناحية سقع وصقع ، والسين أحسن . هذا كلام الأزهري .

ونقل صاحب المحكم مثله ، وقال أبوعمر الزاهد في شرح الفصيح في باب الفتوح : أوله يقال صقع الديك بالصاد والسين وبالزاي ، قال ويقال للجانب من كل شيء الصقع ، وهكذا بالسين والزاي يعني بضم الصاد والسين والزاي . قال الأزهري : وصعقت الأرض وأصعقت أصابها الصقع ، والأرض حقيقة ومصقوعة ، وأصقع الصقيع السحر ، فالسحر صقيع ومصقع . قال صاحب المحكم : والصاعقة كالصاهقة ، والصقيع الجليد ، والأصقع من الطير ماكان على رأسه بياض ، وخطيب مصقع بليغ ، قيل هو من رفع الصوت ، وقيل يذهب في كل صقع من الكلام أي ناحية ، وهو إختيار الفارسي ، هذا كلام صاحب المحكم ، قال في المحكم : الخطيب مسقع بالسين أحسن منه بالصاد .

( فائدة ) في علم النحو والحث عليه من شعر الشيخ عبدالرحيم البرعي ثالث مداح النبي صلى الله عليه وسلم وهو من مطلع قصيدة له ، قال رحمه الله :

كلام بلانحـو طعام بلا ملح ونحو بلا شعر ظلام بلاصبح
ومن يستفد علما ويلغهمامعايعد بلارأس مال في الكلام ولاربح

قال الأزهري في شرح أوضح المسالك : وقد تظاهرت الرواة على أن من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي وأنه أخذه أولا عن سيدنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه ، وكان أبو الأسود كوفي الدار بصري المنشأ ، ومات وقد أسن ، واتفقوا على أن أول من وضع التصريف معاذ بن مسلم الهرّا بفتح الها وتشديد الرّا نسبة إلى بيع الثياب الهروية ، ثم خلف أبو الأسود خمسة نفر : أولهم عنبه الفيل ، ثانيهم ميمون الأقرن ، ثالثهم يحيى بن يعمر العدواني ، والرابع والخامس ولدا أبي الأسود الدؤلي عطا وأبو الحرث ، ثم خلف هؤلاء عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي وعيسى بن عمر الثقفي وأبوعمر وابن العلا ، ثم خلفهم الخليل بن احمد الفراهيدي ثم سيبويه والكسائي ، ثم صار الناس بعد ذلك فرقتين : كوفيا وبصريا ، ثم خلف سيبويه أبو الحسن الأخفش الأوسط سعيد بن سعد ، وخلف الكسائي الفرّا ، ثم جاء بعد ذلك صالح بن إسحاق الحرمي وبكر بن عثمان المازني ، وجاء بعده أبو إسحاق الزجاج وأبوبكر ابن السراج وابن دردتشوه وأبوبكر محمد بن مبرمان ، ثم جاء بعد هؤلاء أبو الحسن بن عبدالغفار الفارسي وأبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي وعلي بن عيسى الرماني ، ثم أبوالفتح بن جني ، ثم الشيخ عبدالقاهر الجرجاني ، ثم

الزمخشري ، ثم ابن الحاجب ، ثم ابن مالك ، ثم الشيخ أبو محمد عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن هشام الأنصاري مصنف المغني ، والأوضح ، وعمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب في مجلدين ، ورفع الخصاصة عن قُرّا الخلاصة في أربع مجلدات ، وشرح التسهيل في عدة قيل ولم يكمل ، وشرح الشواهد الكبرى والصغرى ، والشذور والقطر وشرحهما ، وشرح ملحة ابن حيان ، ورسالة في انتصاب ( لغة ) ( وفضلا) وإعراب ( خلافا ) و ( أيضا ) ( وهلمّ جرأ) في الدليل ، وفضلا عن أن يكون كذا ، وهلمّ جرا واحكام لو وحتى ، كل منهما في جزء لطيف ، وشرح بانت سعاد ، وشرح البردة ، وإقامة الدليل على صحة التحليل ، والتذكرة في خمس عشر جزأ ، والجامع الصغير ، وحواشي التسهيل في مجلدين ، والإعراب عن قواعد الإعراب ، وغير ذلك .

وقال الأزهري : والمراد بعلم العربية علم النحو المشتمل على التصريف ، قال : وله حد وموضوع وفائدة ، وحد ه علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم إعرابا وبناء ، وموضوعه الكلمات ، لأنه يبحث فيه عن عوارضها الذاتية من حيث الإعراب والبناء ، وغايته الإستعانة على فهم كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفائدته معرفة صواب الكلام من خطائه .

وقال الشيخ الإمام عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري في قطر الندى له : الكلمة قول مفرد ، ثم قال في الشرح له أيضا : تطلق الكلمة في اللغة على الجمل المفيدة كقوله تعالى ﴿ **كلا إنها كلمة هو قائلها**

﴾ إشارة إلى قوله تعالى ﴿ **رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت** ﴾
وفي الإصطلاح على القول المفرد ، والمراد بالقول المفرد اللفظ الدال على معنى : كرجل وفرس ، والمراد باللفظ الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية سواء دل على معنى كزيد أولم يدل على معنى كديز مقلوب ، وقد تبين أن كل قول لفظ ولاعكس ، والمراد بالمفرد مالايدل جزءه على جزء معناه ، وذلك نحو زيد فإن أجزاءه وهي الزاي والياء والدال إذا أفرد منها شيء لايدل على شيء ممايدل هو عليه ، بخلاف قولك غلام زيد فإن كلا من جزئيته وهما الغلام وزيد دال على جزء معناه ، فهذا يسمى مركبا لامفردا ، فإن قلت لم لااشترطت في الكلمة الوضع كما اشترط من قال الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد ؟ قلت : إنما احتاجوا إلى ذلك لأخذهم اللفظ جنساً للكلمة ، واللفظ ينقسم إلى قسمين : موضوع ومهمل ، فاحتاجوا إلى الإحتراز عن المهمل بذكر الوضع ، ولما أخذت القول جنسا للكلمة وهو خاص بالموضوع أغناني ذلك عن اشتراط الوضع ، فإن قلت فلم عدلت عن اللفظ إلى القول جنسا بعيدا لإنطلاقه على المهمل والمستعمل كما ذكرناه ، والقول جنس قريب لإختصاصه بالمستعمل ، واستعمال الأجناس البعيدة في الحدود معيب عند أهل النظر . ثم قال في الأصل : وهي أي الكلمة اسم وفعل وحرف .

( فائدة ) ذكر الشيخ عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري في كتابه ( مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ) أن سيبويه رحمه الله جاء إلى حمّاد بن سلمة لكتابة الحديث ، فاستملى منه قوله صلى الله عليه وسلم (

ليس من أصحابي أحد إلا ولوشئت لأخذت عليه ليس أباالدرداء ) فقال سيبويه : ليس أبوالدرداء ، فصاح به حماد : لحنت ياسيبويه ، إنما هذا استثناء ، فقال سيبويه : والله لأطلبن علما لايلحنني معه أحد ، ثم مضى ولزم الخليل وغيره. وكان ذلك سبب إقبال سيبويه على تعلم النحو حتى تبحر فيه وصار فائقا على أقرانه ومناظريه ، وصار كل إمام فيه ، يقتدي به ويقتفيه .

( فائدة ) قال الأزهري في شرح الأوضح : في كل ماثنى عند الأكثرين ثمانية شروط : أحدها الإفراد فلا يثنى المثنى ولاالمجموع على حده ولاالجمع الذي لانظير له في الآحاد ، الثاني : الإعراب ، فلايثنى المثنى ، وأما نحو ذان وتان واللذان واللتان فصيغ موضوعة للمثنى وليست مثناة حقيقة على الأصح عند جمهور البصريين ، الثالث : عدم التركيب ، فلايثنى المركب تركيب إسناد إتفاقا ولامزجي على الأصح ، وأما المركب تركيب إضافة من الأعلام فيستغني بتثنية المضاف عن المضاف إليه ، الرابع : التنكير ، فلا يثنى العلم الباقي على علميته بل ينكر ثم يثنى . الخامس : إتفاق اللفظ ، وأما نحو الأبوان للأب والأم فمن باب التغليب . السادس : إتفاق المعنى ، فلا يثنى المشترك ولا الحقيقة والمجاز ، وأما قولهم القلم أحد اللسانين فشاذ . السابع : أن لايستغنى بتثنية غيره عن تثنيته ، فلا يثنى سواء لأنهم استغنوا بتثنية شيء عن شيء ، فقالوا سيان ولم يقولوا سوان ، وأن لايستغني بمحلف بالمثنى عن تثنية فلا يثنى أجمع وجمعا استغنا بكلا وكلتا . الثامن : أن يكون له ثان في الوجود ، فلا يثنى الشمس والقمر ، وأما قولهم القمران للشمس والقمر فمن باب المجاز . ثم قال الأزهري :

فمااستوى في هذه الشروط فهو مثنى حقيقة يعرف بالألف رفعا ، وبالياء جراً ونصبا على اللغة المشهورة ، ومن العرب من يلزمه الألف في الأحوال الثلاثة ويعربه بحركات مقدرة على الألف ، ومنهم من يلزمه الألف دائما ويعربه بحركات ظاهرة على النون أجرا على المثنى مجرى المفرد ، ثم قال الأزهري : قاله المرادي في شرح التسهيل ( فائدة ) قال فيه ايضا : خلق الله السموات والأرض ، فالسموات منصوب بالكسرة على أنه مفعول به عند الجمهور ، ومفعول مطلق عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني ومحمود الزمخشري وأبي عمرو وابن الحاجب ، وصوّبه الموضح في المغني ، وأوضحه بأن قال : المفعول ماكان موجودا قبل الفعل الذي عمل فيه ، ثم أوقع الفاعل به فعلا ، والمفعول المطلق ماكان الفعل العامل فيه هو فعل إيجاده وإن كان ذاتا ، لأن الله سبحانه وتعالى موجد للأفعال وللذات جميعا . إنتهى . ثم قال : وسبقه إلى هذا الإيضاح الشيخ عبد القاهر فقال في أسرار البلاغة : إذا قلنا خلق الله العالم ، فالعالم ليس مفعولا به بل هو مفعول مطلق ، لأن المفعول به هو الذي كان موجودا فأوجد الفاعل فيه شيئا آخر ، كقولك : ضربت زيدا ، فإن زيداً كان موجودا وأنت فعلت به الضرب ، والمفعول المطلق هو الذي لم يكن موجودا فحصل بك ، والعالم لم يكن موجودا بل كان عدما محضاً ، والله سبحانه وتعالى أوجده وخلصه من العدم ، فكان العالم المفعول المطلق وهو المصدر ولم يكن مفعولا به . إنتهى . قال : واحتج الجمهور الذاهبون إلى أن العالم مفعول به لامفعول مطلق بأمور أولها : إنا قد نعلم العالم وإن كنا نعلم أنه مخلوق لله لابدليل منفصل والمعلوم مغاير المجهول ، فإذا كون الله خالقا للعالم غير ذات العالم ،

وثانيها إنا نصف الله سبحانه وتعالى بالخالقية فلو كان خلق العالم نفس العالم لزم أن يكون الله سبحانه وتعالى موصوفاً بالعلم كما أنه موصوفا بخالقية العالم ، وثالثها أن نقول العالم ممكن فلم يوجد إلا أن الله سبحانه وتعالى أوجده وأحدثه وأبدعه ، فلوكان إيجاد العالم وإحداثه نفس العالم لكان قولنا العالم وجد لأن الله سبحانه وتعالى أوجده جاريا مجرى قولنا العالم وجد لأنه وجد،فيكون ذلك تعليلا للشيء بنفسه ويرجع حاصله إلى أن العالم وجد بنفسه وذلك نفي للصانع الحكيم.

قال الفخر الرازي في شرح المفصل **( فائدة )** قال الحريري في المقامة الرابعة والعشرين تفسير ما أودع هذه المقامة من الكتب الغريبة والأحاجي النحوية : أما صدر البيت الأخير من الأغنية يعني الأبيات التي عنى بها الذي هو فان وصلا لذبه فوصل ، فإنه نظير قولهم : المرء مجزؤ بعمله ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وهذه المسئلة أودعها سيبويه كتابه وجوّز في إعرابها أربعة أوجه ، أحدها : وهو أجودها أن تنصب خبر الأول وترفع الثاني على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط الذي هو إن على تقديرهما ، وحذفت أيضا المبتدأ لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه لأنه كثيرا مايقع بعدها ، والوجه الثاني : أن تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام إن كان عمله خيراً فهو يجزى بخير وإن كان عمله شراً فهو يجزى بشر ، فينصب الأول على أنه خبر كان ، وينصب الثاني إنتصاب مفعول به . والوجه الثالث : أن ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام إن كان عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خبر الأول على أنه اسم كان ، ويرتفع الثاني على مابيّن في

شرح الوجه الأول ، وقد يجوز أن يرتفع خبر الأول على أنه فاعل كان ويجعل كان المقدرة هاهنا هي التامة التي تأتي بمعنى حدث ووقع فلايحتاج إلى خبر كقوله سبحانه وتعالى ﴿ **وإن كان ذوعسرة** ﴾ ويكون التقدير في المسئلة إن كان خيرٌ فجزاه خيرٌ أي إن أحدث خير فجزاه خير . والوجه الرابع : وهو أضعفها أن ترفع الأول على ماتقدم شرحه في الوجه الثالث ، وتنصب الثاني على مابيّن ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير : إن كان في عمله خير فهو يجزا خير ، وعلى حسب هذا التفسير والمقدرات والمحذوفات فبه تجري إعراب البيت الذي عنى به .

قال : ومما ينتظم في هذا السلك قولهم : المرء مقتول بما قتل به ، إن سيفا فسيفا وإن خنجرا فخنجرا . وأما الكلمة التي هي حرف مجزي أواسم لما فيه حرف خلوت ، فهي نعم إن أردت تصديق الأخبار أوالعدة عند السؤال فهي حرف محبوب عنيت بها الإبل فهي اسم والنعم تذكّر وتؤنث ، وتطلق على الإبل وعلى كل ماشية فيها إبل ، وفي الإبل الحرف وهي الناقة الضامر سميت حرفاً تشبيها لها بحرف السيف ، وقيل إنها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل ، وأما الإسم المتردد فيه بين فرد جازم وجمع ملازم فهو سراويل ، قال بعضهم : هو واحد وجمعه سراويلات ، فعلى هذا القول هو فرد وكنى عن ضمه الحصر بأنه جازم ، وقال آخرون : هو أجمع وواحده سروال مثل شملال وشماليل فهو على هذا القول جمع ، ومعنى قوله ملازم أي لاينصرف ، وإنما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه ألف بعدها حرف مشددا أوحرفان أوثلاثة لثقله وتفرده دون غيره من المجموع بأن لانظير له في الأسماء الآحاد ، وأما الهاء التي إذا

التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل فهي الهاء اللاحقة بالجمع المتقدم ذكره كقولك : صيارفة وصيافلة ، فينصرف هذا الجمع عند إلتحاق الهاء به ، لأنها قد أصارته إلى أمثال الآحاد نحو : رفاهية وكراهية ، فحق بهذا السبب وصرف لهذه العلة ، وقد كنى في هذه الأحجية عن مالاينصرف بالملازم ، وأما السين التي تعزل العامل من غير أن تجامل فهي التي إذا دخلت على الفعل المستقبل وفصلت بينه وبين إنّ التي كانت قبل دخولها من أدوات النصب فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل إنّ عن كونها ناصبة للفعل إلى أن تصير المخففة من الثقيلة ، وذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ **علم أن سيكون منكم مرضى** ﴾ في سورة المزمل ، وتقديره : علم أنه سيكون منكم ، وأما المنصوب على الظرف الذي لايحفظه سوى حرف فهو عند إذ لايجزم غير من خاصة ، وقول العامة : ذهبت إلى عنده ، لحن ، وأما المضاف الذي أحلّ من عرى الإضافة بعروة واختلف حكيمه بين مساء وغدوة ، فهو لدن ، ولدن من الأسماء التي لزمت الإضافة ، وكل مايأتي بعدها مجرور بها إلا غدوة ، فإن العرب نصبتها بلدن لكثرة إستعمالهم إياها في الكلام ، ثم نونتها أيضا لتبين بذلك أنها منصوبة إلا إنها من نوع المجرورات التي لاتنصرف ، وعند بعض النحويين إن لدن بمعنى عند ، والصحيح أن بينهما فرقاً لطيفا وهو إن عند يشتمل معناها على ماهو في ملكتك ومكنتك من ما دنا منك وبعُد عنك ، ولدن تختص معناها بما قرب منك وحضرك ، وأما العامل الذي يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو ياء ومعكوسها أي ، وكلتاهما من حروف النداء

وعملهما في الإسم المنادى سيان وإن كانت يا أجود في الكلام وأكثر في الإستعمال ، وقد إختار بعضهم أن ينادى بأي القريب فقط كالهمزة ، وأما العامل الذي نائبه أرحب منه وأكرم وأعظم مكراً ، وأكثرلله تعالى ذكراً فهو باء القسم ، وهذه الباء هي أصل حروف القسم بدلالة إستعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك : أقسم بالله ، ولدخولها أيضا على المضمر في مثل قولك : بك لأفعلن ، ثم قد أبدلت الواو منها في القسم لأنها جميعا من حروف الشفة ولتناسب معنيهما ، لأن الواو يفيد الجمع ، والباء تفيد الإلصاق ، والمعنيان متقاربان ، ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور في الكلام وأعلق بالأقسام ، ولهذا ألغز بأنها أكثر لله سبحانه وتعالى ذكراً ثم الواو أكثر موطنا من الباء ، لأن الباء لاتدخل إلا على الإسم لاتعمل غير الجر ، والواو تدخل على الإسم والفعل والحرف ، ويجر تارة بالقسم وتارة بإضمار ربّ ، وتنتظم أيضا مع نواصب الفعل وأدوات العطف ، فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر ، وأما الموطن الذي يلبس فيه الذكران براقع النسوان ، وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال ، فهو أول مراتب العدد المضاف ، وذلك مابين الثلاثة إلى العشرة فإنه يكون مع الذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها ، كقوله سبحانه وتعالى ﴿ **سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما** ﴾ [١] والهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك : قائم وقائمة وعالم وعالمة ، فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى إنقلب كل منها في ضد قالبه ، وبرز في بر صاحبه ،

---

[١] الآية ٧ الحاقة

وأما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب ، فهو حيث يشبه الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما ، وذلك إذا كانا مقصورين مثل : عيسى وموسى ، أومن أسماء الإشارة نحو: ذاك وهذا فيجب حينئذ لإزالة اللبس إقرار كل منهما في رتبته لتعرف الفاعل بتقدمه والمفعول بتأخره ، وأما الإسم الذي لايفهم إلا باستضامة كلمتين أوالإقتصار منه على حرفين فهو **( مهما )** وفيها قولان : أحدهما أنها مركبة من مه بمعنى أكفني ، ومن ما ، والقول الثاني وهو الصحيح : ان الأصل فيها**( ما )** فزيدت عليها ما أخرى كما تزاد ما على أن ، فصار لفظها **( ماما )** فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد ، فأبدلوا من ألف ما الأولى هاء فصارتا **( مهما )** ومهما من أدوات الشرط والجزاء ، ومتى نطقت بها لم يتم الكلام ولاعقل المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل افعل ويكون حينئذ ملتزم للفعل ، وإذا اقتصرت منها على حرفين وهما ( مه ) التي بمعنى أكفني فهم المعنى وكتب ملزما من خاطبته أن يكف ، وأما الوصف الذي إذا أردف بالنون نقص ضاحية في العيون ، وقوّم بالدون ، وخرج من الزبون ، وتعرض للهون ، فهو ضيف إذا لحقته النون استحال إلى ضيفن وهو الذي يتبع الضيف ، ويتنزل في النقد منزلة الزيف .

( فائدة ) قال الشيخ عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري في كتابه ( مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ) في الباب الثاني منه عند ذكر الجمل السبع التي لامحل لها من الإعراب : الجملة الثانية المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتشديدا وتحسينا ، ثم قال في أثناء ذلك : ومن ذلك المعترضة بين القسم ، وجوابه كقوله تعالى ﴿ **قال فالحق والحق**

**أقول * لأملأن** ﴾ [1] الأصل أقسم بالحق لأملأن ، وأقول الحق ، فانتصب الحق الأول بعد إسقاط الخافض بأقسم محذوفا ، والحق الثاني بأقول ، واعترض بجملة ( **أقول الحق** ) وقدم معمولها للإختصاص ، وقرئ برفعهما بتقدير فالحق قسمي والحق أقوله ، وبجرهما على تقدير واو القسم في الأول والثاني توكيدا كقولك **( والله والله لأفعلن )** وقال الزمخشري : جر الثاني على أن المعنى وأقول الحق ، أي هذا اللفظ ، فاعمل القول في لفظه أو القسم مع مجرورها على سبيل الحكاية ، قال : وهو وجه حسن دقيق جائز في الرفع والنصب . إنتهى .

( فائدة ) قال الإمام محي الدين النووي في شرح صحيح مسلم : وهيهات موضوعة الإستبعاد الشيء والناس منه ، ثم قال : قال الإمام أبو الحسن الواحدي : هيهات اسم سمي به الفعل وهو بعد في الخبر لافي الأمر ، قال : ومعنى هيهات بعد وليس له إشتقاق لأنه بمنزلة الأصوات ، قال : وفيه زيادة معنى ليست في بعد ، وهو أن المتكلم يخبرعن إعتقاده استبعاد ذلك الذي يخبر عن بعده ، فكأنه بمنزلة قوله : بعد جدا ، أوما أبعده ، لاعلى أن يعلم المخاطب مكان ذلك في البعد ، ففي هيهات زيادة على بعد ، وإن كنا نفسره به ، ويقال في معنى هيهات ماقلت ، وهيهات أنت . ثم قال النووي : قال الواحدي : وفي معنى هيهات ثلاثة أقوال أحدها : أنه بمنزلة بعد كما ذكرناه أولا وهو قول أبي علي الفارسي وغيره من حذاق النحويين ، والثاني بمنزلة بعيد وهو قول الفَرّا ، والثالث بمنزلة البعد وهو

---

[1] الآيات : ٨٤–٨٥ ص

قول الزجاج وابن الأنباري ، فالأول يحصل بمنزلة الفعل ، والثاني بمنزلة الصفة ، والثالث بمنزلة المصدر . قال الإمام النووي : في هيهات ثلاث عشر قول ذكرهن الواحدي بقوله : هيهات بفتح الياء وضمها مع التنوين فيهن وبحذفه ، فهذه ست لغات ، وإيهات بالألف بدل الهاء الأولى وفيها اللغات الست ايضا ، والثالثة عشر أنها تحذف الياء من غير تنوين ، وزاد غير الواحدي آيات بهمزتين بدل الهايين ، والأفصح المستعمل من هذه اللغات إستعمالا قياسا **( هيهات )** بفتح التاء بلاتنوين . قال الأزهري : واتفق أهل اللغة على أن تاء هيهات ليست أصلية واختلفوا في الوقف عليها ، قال أبوعمر والكسائي : توقف بالهاء ، وقال الفرّا بالتاء ، ثم قال النووي : وقد بسطت الكلام في هيهات وتحقيق ماقيل فيها في تهذيب الأسماء واللغات ، وأشرت هنا إلى مقاصده ، والله أعلم .

( فائدة ) قال ابن هشام في كتابه **( المغني )** تنبيه : لاتأكل سمكا وتشرب لبنا ، إن جزمت فالعطف على اللفظ والنهي عن كل منهما ، وإن نصبت فالعطف عند البصريين على المعنى والنهي عند الجميع عن الجميع ، أي لايكن منك أكل سمك مع شرب لبن ، وإن رفعت فالمشهور أنه نهي عن الأول وإباحة الثاني ، وإن المعنى : ولك شرب اللبن وتوجيهه أنه مستأنف فلم يتوجه إليه حرف النهي . وقال بدر الدين : ان معناه كمعنى وجه النصب ولكنه على تقدير : لاتأكل السمك وأنت تشرب اللبن . إنتهى . وكأنه قدّر الواو للحال وفيه بعد لدخولها في اللفظ على المضارع المثبت ثم هو مخالف لقولهم إذ جعلوا لكل من أوجه الإعراب . إنتهى .

(فائدة ) منه أيضا قال : قال الفخر الرازي في تفسيره : وفي كتاب مناقب الإمام الشافعي رضي الله عنه أن مجلسا جمعه جماعة من الحنفية وأنهم زعموا أن قول الشافعي يحل أكل متروك التسمية مردود بقوله تعالى ﴿ **ولاتأكلوا مما لم يذكراسم الله عليه وإنه لفسق** ﴾[١] فقال : قلت لادليل فيها بل جمعه للشافعي ، وذلك لأن الواو ليست للعطف لتخالف الجملتين بالإسمية والفعلية ، ولا للإستئناف لأن أصل الواو أن تربط مابعدها بماقبلها فبقي ان تكون للحال فيكون جملة الحال مفيدة للنهي ، والمعنى لاتأكلوا منه في حالة كونه فسقا ، ومفهومه جاز الأكل إذا لم يكن فسقا ، والفسق قد فسره الله تعالى بقوله ﴿ **أوفسقا أهل لغيرالله به** ﴾[٢] والمعنى لاتأكلوا منه إذا سمي عليه غير الله ، ومفهومه وكلوا منه إذا لم يسم عليه غير الله . إنتهى ملخصا موضحا . ثم قال ابن هشام : ولو أبطل العطف بتخالف الجملتين بالإنشاء والخبر لكان صواباً ثم ذلك .

فائدة منه أيضا : قال ابن حزم الظاهري شعراً :

تجنب صديقا مثل ما واحذر الذي     يكون كعمروٍ بين عُرب وأعجم

فإنّ صديق السوء يردي وشاهدي     كما شَرِقت صدرالقناة من الدم

قال ابن هشام : ومراده بما الكناية عن الرجل الناقص كنقص ما الموصولة ، وبعمرو الكناية عن الرجل المريد أخذ ماليس له كأخذ عمرو الواو في الخط . وقوله كماشرِقت صدر القناة من الدم الإشارة إلى أن

---

[١] الآية : ١٢١ الأنعام

[٢] الآية : ١٤٥ الأنعام

المذكر إذا جاوز المؤنث انسحب عليه التأنيث الذي انسحب على النصب في البيت حيث قال :

وشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

فائدة منه أيضا : إذا أضيف الإسم وجب له التصدر ، ولهذا وجب تقديم المبتدأ في نحو غلام مَن عندك ؟ والخبر في نحو صبيحة أي يوم سفرك ؟ والمفعول في نحو غلام أيهم أكرمت ، ومن ومجرورها في نحو من غلام لهم أنت أفضل ، ووجب الرفع في نحو عملت . ولهذا يشير قول بعض الفضلاء :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا مضافا لأرباب الصدور تصدرا
وإياك أن ترضى صحابة نـــاقص فتنحط قدراً من علاك وتحـقرا
فيرفع أبو من ثم خفض مزمـــل يبين قــــــولي معربا ومحررا

قال والإشارة بقوله : ثم خفض مزمل إلى قول أمرؤالقيس حيث يقول :

وكان بثيرا في عرانين وبله كبير أناس في بجاد مزمّل

صفة لكبير وكان حقه الرفع ولكنه خفض لمجاورته للمخفوض .

فائدة من التصريح للأزهري قال : أنكر النكرات شيء ثم موجود ثم يحدث ثم جسم ، ثم نام ، ثم حيوان ، ثم إنسان ، ثم بالغ ، ثم ذكر ، ثم رجل . فهذه عشرة يقابل كلا منها ماهو في مرتبته . إنتهى .

ثم قال في التسهيل : وأعرف المعارف ضمير المتكلم ، ثم ضمير المخاطب ، ثم العلم ، ثم ضمير الغائب السالم عن إبهام معنى بأن يتقدمه اسم واحد معرفة أونكرة ، ثم المشار به والمنادى يعني أنهما في مرتبة واحدة

لأن تعـريفهما بالعهـد ، وهي في بعـض نسـخه ، ثم الأداءة ، فجعـله بعـد الموصول والمضاف بحسب المضاف إليه . إنتهى تصريح .

( فائدة ) قوله صلى الله عليه وسلم **( لايدخل الجنة نمّام )** قال الإمام النووي رضي الله عنه في شرح مسلم : قال الجوهري وغيره فقال : نم الحديث ينمه بكسر النون وضمها نمّا ، ثم قال : قال العلماء : النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد ، ثم قال الإمام أبوحامد الغزالي في الإحياء : إعلم ان النميمة إنما تطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه ، قال وليست النميمة مخصوصة بهذا بل حد النميمة كشف مايكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أوالمنقول إليه ، وسواء كان الكشف عن مايكره بالكنى أو بالرمز أو بالإيماء ، فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عن مايكره كشفه، ولو رآه يخفى مالا لنفسه فذكره فهو نميمة ، قال وكل من حملت إليه نميمة وقيل له فلان يقول فيك أويفعل فيك كذا فعليه ستة أمور : الأول : أن لايصدقه لأن النمام فاسق ، الثاني : أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ، الثالث : أن يبغضه في الله فإنه بغيض عندالله ويجب بغض من يبغضه الله ، الرابع : أن لايظن بأخيه الغائب السوء ، الخامس : ان لايحمله ماحكى له عنه على التجسيس والبحث عن ذلك ، السادس : أن لايرضى لنفسه مانهى النمام عنه فلايحكي نميمته عنه فيقول فلان يحكي كذا فيصير به نماما ويكون أتى مانهى عنه . قال الإمام النووي في الشرح : هذا كلام الغزالي ، ثم قال النووي بعده : وكل هذا في النميمة إذا لم تكن فيها مصلحة شرعية ، فإن دعت إليها حاجة يعني شرعية فلا منع منها وذلك كما إذا أخبره بأن إنسان يريد الفتك به أو بأهله أوبماله ، أوأخبر الإمام أو من له ولاية بأن إنسان يفعل أو يسعى بما فيه مفسدة . قال : ويجب على صاحب الولاية الكشف عن

ذلك وإزالته  فكل هذا ومأشبهه ليس بحرام . قال : وقد يكون بعضه واجبا وبعضه مستحبا على حسب المواطن ، والله أعلم .

( فائدة ) مما أجاب به بعض صالحي الولاة على بعض صالحي السعاة ، فمن جملة ماكتب إليه يوبخه على ما أخبرعليه أن قال : السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة ، ومعاذ الله أن نقبل من مهتوك في مستور ، فاكتم العيب واتق من يعلم الغيب . إلى آخر ماقال رحمه الله .

( فائدة ) ذكر ابن خلّكان في تاريخه في ترجمة الحرث بن أسد المحاسبي أنه سئل عن العقل ماهو فقال : نور الغريزة مع التجارب يزيد ويقوى بالعلم والحكمة . وكان يقول : فقدنا ثلاثة أشياء : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الأمانة ، وحسن الإخا مع الوفا .

( فائدة ) قال الإمام النووي رضي الله عنه في شرح مسلم : قال صاحب التحرير : إعلم إن الحق كل موجود ومتحقق أوماسيوجد محالة ، فالله سبحانه وتعالى هو الحق الموجود الأزلي ، والباقي الأبدي ، والموت والساعة والجنة والنار حق لأنها واقعة لامحالة ، وإذا قيل الكلام الصدق حق فمعناه أن الشيء المخبر عنه بذلك الخبر واقع متحقق لاتردد فيه ، وكذا الحق المستحق على الغير من غير أن يكون فيه تردد ، فحق الله سبحانه وتعالى على العباد ، وحق الله سبحانه وتعالى معنى أنه متحقق لامحالة . ثم قال الإمام النووي : هذا كلام صاحب التحرير . وقال غيره : إنما كان حقهم على الله سبحانه وتعالى على جهة المقابلة لحقه عليهم ، ويجوز أن يكون من نحو قول الرجل لصاحبه حقك واجب علي ، أي متأكد قيامي به . ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ( حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام ) والله أعلم .

( فائدة ) قال الإمام محي الدين مجدد مذاهب العلماء أجمعين لاسيما الشافعيين يحي النووي في شرح صحيح مسلم له : قال الإمام القاضي عياض رحمه الله تعالى : اختلف السلف والخلف هل رأى صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء ؟ فأنكرته عائشة رضي الله عنها كما وقع هنا في صحيح مسلم . وجاء مثله عن أبي هريرة رضي الله عنه وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه . ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك . وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رآه. ووقف بعض مشائخنا في هذا وقال : ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ، ورؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا جائزة ، وسؤال موسى عليه السلام إياها دليل على جوازها إذ لايجهل نبي مايجوز أويمتنع على ربه ، وقد اختلفوا في رؤية موسى عليه السلام ربه في مقتضى الآية ورؤية الجبل ، ففي جواب القاضي أبوبكر مايقتضي أنهما رأياه ، وكذلك اختلفوا في أن نبينا وحبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه سبحانه وتعالى ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا ؟ فحكي عن الأشعري وقوم من المتكلمين أنه كلمه صلى الله عليه وسلم ، وعزا بعضهم هذا إلى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم ، وكذلك اختلفوا في قوله تعالى ﴿ **ثم دنا فتدلى** ﴾ [١] فالأكثرون على أن هذا الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والحبيب

[١] الآية : ٨ النجم

صلى الله عليه وسلم ، أومختص بأحدهما من الآخر ومن السدرة المنتهى . وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنوٌ من النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى أومن الله سبحانه وتعالى ، وعلى هذا القول يكون الدنو والتدلي متأولا ليس على وجهه ، بل كما قال أبوجعفر ابن محمد : الدنو من الله تعالى لاحَدّ له ، ومن العباد بالحدود ، فيكون معنى دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى وقربه منه ظهورعظيم منزلته لديه ، وإشراق أنوار معرفته عليه ، واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على مالم يطلع سواه عليه ، والدنو من الله سبحانه وتعالى له إظهار ذلك له ، عظيم بره وفضله العظيم لديه ، ويكون قوله تعالى ﴿ **قاب قوسين أوأدنى** ﴾[١] على هذا عبارة عن لطف المحل وإيضاح المعرفة والإشراق على الحقيقة من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن الله سبحانه وتعالى إجابة الرغبة وآياته المنزلة ، ويتأول في ذلك مايتأول في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي عن ربه ( **ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا** ) إلى آخر الحديث .

قال الإمام النووي رضي الله عنه : وأما صاحب التحرير فإنه إختار إثبات الرؤية ، قال والحجج في هذه المسئلة وإن كانت كثيرة ولكنا لانتمسك إلا بالأقوى منها وهو حديث ابن عباس ، أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤية لحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم . وعن عكرمة سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟

---

[١] الآية : ٩ النجم

قال نعم . وقد روي بإسناد لابأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ، وكان الحسن يحلف : لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ، والأصل في الباب حديث ابن عباس رضي الله عنهماحبر الأمة والمرجوع إليه في العضلات ، وقد راجعه ابن عمر رضي الله عنهما في هذه المسئلة وراسله هل رأى محمد ربه ؟ فأخبره أنه رآه ، ولايقدح في هذا حديث عائشة رضي الله عنها ، فإن عائشة رضي الله عنها لم تخبر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي وإنما ذكرت ماذكرت متأولة لقول الله تعالى ﴿ **وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا** ﴾ ( الآية ٥١ سورة الشورى ) ولقول الله تعالى ﴿ **لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾[ الآية ١٠٣ الأنعام ] إلى آخر الآية . والصحابي إذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة ، وإذا صحت الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يتلقى بالسماع ، ولايستجيز أحد أن يظن بابن عباس رضي الله عنهما انه يتكلم في هذه المسئلة بالظن والإجتهاد . وقد ذكر معمّر ابن راشد حين ذكر إختلاف عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهما ماعائشة عندنا بأعلم من ابن عباس رضي الله عنهم ، ثم إن ابن عباس رضي الله عنهما أثبت شيئا نفاه غيره ، والمثبت مقدم على النافي ، ثم قال الإمام النووي : والحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس

رضي الله عنهما وغيره مماتقدم ، وإثبات هذا لايأخذونه إلا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا مما لاينبغي أن لايتشكك فيه . ثم إن عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان معها فيه حديث لذكرته وإنما إعتمدت الإستنباط من الآيات الكريمة والأحاديث العظيمة . وسنوضح الجواب عنها : فأما إحتجاج عائشة رضي الله عنها بقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **لاتدركه الأبصار** ﴾ فجوابه ظاهر ، فإن الإدراك هو الإحاطة ، والله سبحانه وتعالى لايحاط به ، وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لايلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة . وأجيب عن الآية بأجوبة أخرى لاحاجة إليها مع ماذكرناه ، فإنه في نهاية الحسن مع إختصاره . وأما إحتجاجها بقوله سبحانه وتعالى ﴿ **وماكان لبشرأن يكلمه الله إلا وحياً** ﴾ [ الآية ٥١ الشورى ] . فالجواب عنه من أوجه ، أحدها : أنه لايلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية ، فيجوز وجود الرؤية من غير كلام ، الثاني : أنه عام بمخصوص بماتقدم من الأدلة ، الثالث : ماقاله بعض العلماء أن المراد بالوحي الكلام من غير واسطة ، وهذا الذي قاله القائل وإن كان محتملا ولكن الجمهورعلى أن المراد بالوحي هنا الإلهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحياً ، وأماقوله تعالى ﴿ **أو من وراء حجاب** ﴾ فقال الواحدي وغيره معناه : غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه وتعالى من حيث لايرونه ، وليس المراد أن هناك حجاب يفصل موضعا من موضع ، ويدلك على تحديد المحجوب فهو

بمنـزلة مايسمع من وراء حجاب حيث لم يرى المتكلم . والله سبحانه وتعالى أعلم .

**( فائدة )** قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم له : إعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا ، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الدار الآخرة ، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين . قال : وزعمت طوائف من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله سبحانه وتعالى لايراه أحد من خلقه ، وأن رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوا به خطأ صريح ، وجهل قبيح ، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى في الدار الآخرة للمؤمنين ، ورواها نحو عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآيات القرآن فيها مشهورة . وفي كتب المتكلمين من اهل السنة وكذلك باقي شبههم وإعتراضات المبتدعة عليها أجوبة وهي مستقصاة في كتب الكلام ، وليس بنا ضرورة إلى ذكرها . هذا وأما رؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا فقد قدمنا انها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم قالوا أنها لاتقع في الدنيا . وحكى الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبوبكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري ، أحدهما : وقوعها ، والثاني : لاتقع . ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله سبحانه وتعالى في خلقه ، ولايشترط فيها إتصال الأشعة ولامقابلة المرئي ولاغيرذلك ، لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضاً بوجود ذلك على

جهة الإتفاق لاعلى سبيل الإشتراط . وقد قرر أئمتنا المتكلمون بذلك بدلائله الجليلة ، ولايلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة الله سبحانه وتعالى عن ذلك ، بل يراه المؤمنون لافي جهة . والله أعلم .

( فائدة ) من تهذيب الإمام النووي : قال الإمام أبو إسحاق الزجاج في كتابه معاني القرآن العزيز في قوله عز وجل في صفة يحيى ابن زكريا صلى الله عليه وسلم في سورة آل عمران ﴿ **ونبياً من الصالحين** ﴾ قال : الصالح هو الذي يؤدي إلى الله عزوجل مافترض عليه ، ويؤدي إلى الناس حقوقهم ، هذا قول الزجاج . وكذا صاحب مطالع الأنوار: الرجل الصالح هو القائم بما يلزمه من حقوق الله عز وجل وحقوق الناس .

*******

( فائدة ) قال إمامنا محي الدين ومرشد المسترشدين ومفتي المستفيدين يحيى النووي في كتابه شرح المهذب المسمى بـ ( المجموع ) الذي فيه لطالب العلم كل مطموع ، نفع الله بمصنفه وسقانا من بحار علومه أصفى ينبوع ، قال : فرع ؛ هذا أول موضع جرى فيه شيء من أحكام الخنثى في الكتاب ، ولبيان أحكامه وصفات وضوحه وإشكاله ، مواطن منها هذا الباب ، وباب الحجر ، وكتاب الفرائض ، وكتاب النكاح ، وللأصحاب فيه عادات مختلفة ، فبعضهم ذكره هنا كإمام الحرمين والغزالي وآخرين ، وبعضهم في الحجر ، وذكر المصنف منه هناك شيئا ، وأكثرهم ذكروه في الفرائض ، ومنهم المصنف في المهذب ، وبعضهم في النكاح ، منهم المصنف في التنبيه والبغوي ، وبعضهم أفرده بالتصنيف كالقاضي أبو الفتوح وغيره ، وقد ذكر البغوي فيه فصلين حسنين قبيل كتاب الصداق ، وقد قدمت في الخطبة أني أقدم ما أمكن تقديمه في أول موطنه ، فأذكر إن شاء الله تعالى هنا معظم أحكامه مختصرة جداً فصلان ، أحدهما : في طريقة معرفة ذكورته وأنوثته وبلوغه ، والثاني : في أحكامه في حال الإشكال ، الفصل الأول : في معرفة حاله قال أصحابنا : الأصل في الخنثى ماروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( في مولود له ماللرجال ومالنساء يورث من حيث يبول ) وهذا حديث ضعيف بالإتفاق ، وقد بين البيهقي وغيره ضعفه ، والكلبي وأبوصالح هذان ضعيفان ، وليس هو أباصالح ذكوان المسمان الراوي في الصحيحين عن أبي هريرة ، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه ، وسعيد بن المسيب مثله .

واعلم أن الخنثى ضربان ، أحدهما وهو المشهور أن يكون له فرج المرأة وذكر الرجل ، والضرب الثاني : أن لايكون له واحد منهما بل له ثقبة يخرج منها الخارج ولايشبه فرج واحد منهما ، وهذا الضرب الثاني ذكره صاحب الحاوي والبغوي والرافعي وجماعات في كتاب الفرائض . قال البغوي وحكم هذا الثاني أنه مشكل يوقف أمره حتى يتبين بالبلوغ فيختار لنفسه مايميل إليه طبعه من ذكورة وأنوثة ، فإن كان أمنى على النساء ومال طبعه إليهن فهو رجل ، وإن كان عكسه فإمرأة ولا دلالة في بول هذا ، وأما الضرب الأول فهو الذي فيه التعريف فمذهبنا أنه أما رجل وأما إمرأة وليس قسما ثالثا ، والطريق إلى معرفة ذكورته وأنوثته من أوجه : منها البول ، فإن بال بآلة الرجل فقط فهو رجل ، وإن بال بآلة المرأة فقط فهو إمرأة ، وهذا لاخلاف فيه ، فإن كان يبول بهما جميعا نظر ! إن إتفقا في الخروج والإنقطاع والقدر فلادلالة فيه ، وإن إختلفا في ذلك ففيه وجهان ، احدهما : لادلالة في البول فهو مشكل إن لم تكن علامة أخرى ، والثاني : وهو الأصح أنهما إن كانا ينقطعان معا ويتقدم أحدهما في الإبتداء فهو المتقدم ، وإن استويا في التقدم وتأخر إنقطاع أحدهما فهو المتأخر ، وإن تقدم أحدهما وتأخر الآخر فهو للسابق على أصح الوجهين وقيل لادلالة ، وإن استويا في الإبتداء والإنقطاع وكان أحدهما أكثر وزنا فوجهان ، أحدهما : الحكم بأكثرهما وهو نص الشافعي في الجامع الكبير للمزني وهو مذهب أبي يوسف ومحمد ، والثاني : وهو الأصح لادلالة فيه صححه البغوي والرافعي وغيرهما ، وقطع به صاحب الحاوي في كتاب الفرائض وإمام الحرمين هنا وهو مذهب ابي حنيفة والأوزاعي ، ولوزرق كهيئة الرجل أورشش كعادة

المرأة فوجهان : أصحهما لادلالة فيه ، والثاني يدل فعل هذا إن زرق بهما فهو رجل ، وإن رشش بهما فإمرأة . وإن زرق بأحدهما ورشش بالآخر فلادلالة ولو لم يبل من الفرجين وبال من ثقب آخر فلادلالة في بوله . ومنها المني والحيض : فإن أمنى بفرج الرجل فهو رجل ، وإن أمنى بفرج المرأة وحاض به فهو إمرأة ، وشرطه في الصور الثلاث أن يكون في زمن إمكان خروج المني والحيض ، وأن يتكرر خروجه ليتأكد الظن به ولايتوهم كونه إتفاقيا ، ولو أمنى بالفرجين فوجهان : أحدهما لادلالة ، أصحهما أنه إن أمنى منهما بصفة الرجل فهو رجل ، وإن أمنى بصفة مني النساء فإمرأة ، لأن الظاهر إن المني بصفة مني الرجال ينفصل من رجل ، وبصفة مني النساء ينفصل من إمرأة ، ولو أمنى من فرج النساء بصفة مني الرجال أومن فرج الرجال بصفة مني النساء أوأمنى من فرج الرجال بصفة منيهم ومن فرج النساء بصفة منيهن فلا دلالة ، ولو تعارض بول وحيض فسال من فرج المرأة فوجهان : أصحهما لادلالة للتعارض ، الثاني : تقدم البول لأنه دائم متكرر .

قال إمام الحرمين : كان شيخي يميل إلى البول ، قال الوجه عندي القطع بالتعارض ، ولوتعارض المني والحيض فثلاثة أوجه ذكرها الإمام البغوي وغيره ، أحدها : وهو قول أبي إسحاق أنه إمرأة لأن الحيض مختص بالنساء والمني مشترك ، والثاني : وهو قول أبي بكر الفارسي أنه رجل لأن المني حقيقة وليس دم الحيض حقيقة ، والثالث : لادلالة للتعارض وهو الأصح الأعدل ، وهو قول أبي علي بن أبي هريرة ، وصححه الرافعي ، ومنها الولادة وهي تفيد القطع بالأنوثة وتقدم على جميع المعاملات

المعارضة لها ، لأن دلالتها قطعية . قال القاضي أبو الفتوح في كتابه الخناثا : لوألقى الخنثى مضغة وقال القوابل أنها مبتدأ خلق آدمي حكم بأنه إمرأة ، وإن شككن دام الإشكال ، قال : ولو إنتفخ بطنه وظهرت أمارات حمل لم يحكم بأنه إمرأة حتى يتحقق الحمل . وأما نبات اللحية ونهود الثدي ففيهما وجهان ، أحدهما : يدل النبات على الذكورة والنهود على الأنوثة ، لأن اللحية لاتكون غالبا إلا للرجال ، والثدي غالبا لايكون إلا للنساء ، والثاني وهو الأصح لادلالة لأن ذلك قد يختلف ، ولأنه لاخلاف إن عدم اللحية في وقته لايدل للأنوثة ، ولاعدم النهود في وقته للذكورة ، فلو جاز الإستدلال عملا بالغالب لجاز بعدمه عملا بالغالب . قال إمام الحرمين : ولايعارض نبات اللحية والنهود شيئا من العلامات المتفق عليها ، وأما نزول اللبن من الثدي فقطع البغوي بأنه لادلالة فيه للأنوثة ، وذكر غيره فيه وجهين : الأصح لادلالة ، وأما عدد الأضلاع ففيه وجهان : أحدهما يعتبر فإن كانت أضلاعه من الجانب الأيسر ناقصة ضلعا فهو رجل ، وإن تساوت من الجانبين فإمرأة ، والثاني : لادلالة فيه وهو الصحيح وبه قطع صاحب الحاوي والأكثرون وصححه الباقون ، لأن هذا لاأصل له ولافي كتب التشريح . قال إمام الحرمين : هذا الذي قيل من الأضلاع لست أفهمه ولاأرى فرقاً بين الرجال والنساء . وقال صاحب الحاوي : لاأصل لذلك لإجماعهم على تقديم المثال عليه يعني ولو كان له أصل لقدم على المثال ، لأن دلالته حسنة كالولادة . قال أصحابنا : ومن العلامات شهوته وميله إلى النساء والرجال ، فإن قال أشتهي النساء ويميل طبعي إليهن حكم بأنه رجل ، وإن قال أميل إلى الرجال حكم بأنه إمرأة ، لأن الله

سبحانه وتعالى أجرى العادة بميل الرجل إلى المرأة والمرأة إلى الرجل ، وإن قال أميل إليهما ميلا واحداً ولاأميل إلى واحد منهما فهو مشكل . قال أصحابنا : وإنما يراجعه في ميله وشهوته ، ويقبل في ذلك قوله إذا عجزنا عن العلامات السابقة ، فأما مع واحدة منها فلا يقبل قوله ، لأن العلامات حسية وميله نفسي ، قال أصحابنا : وإنما نقبل قوله في الميل بعد أوان بلوغه وعقله كسائر أخباره ، لأن الميل إنما يظهر بالبلوغ ، هذا هو المذهب الصحيح المشهور .

وحكى الرافعي وغيره وجهان : أنه يقبل قول الصبي المميز في هذا كالتخيير بين الأبوين في الحضانة وهذا ليس بشيء ، لأن تخيره بين الأبوين تخير شهوة للرفق به ولايلزمه الدوام عليه ولايتعلق به أحكام ، بخلاف قول الخنثى فإنه إخبار ، فيشترط من يقبل خبره وليس موضوعا للرفق ، ولأنه تتعلق به حقوق كثيرة في النفس والمال والعبادات له وعليه ، وهذا أيضا لازم لايجوز الرجوع عنه . وفرّع أصحابنا على إخباره فروعاً أحدها : أنه إذا بلغ وفقدت العلامات ووجد الميل لزمه أن يخبر به ليحكم به ويعمل عليه ، فإن أخره أثم وفسق ، كذا قاله البغوي وغيره ، والثاني : إن الإخبار إنما هو بما يجده من الميل الجبلي ، ولايجوز الإخبار بلا ميل بلا خلاف ، الثالث : إذا أخبر بميله إلى أحدهما عمل به ولايقبل رجوعه عليه بل يلزمه الدوام عليه ، فلو كذبه الحس بأن تخبر أنه رجل ثم تلف بطل قوله وحكم بأنه إمرأة ، وكذا لوظهر حمل وثبتناه كما لوحكمنا بأنه رجل بشيء من العلامات ثم ظهر حمل فإنا نبطل ذلك ويحكم بأنه إمرأة . وأما قول الغزالي في الوسيط : فإذا اخبر لايقبل رجوعه إلا إن يكذبه الحس

بأن يقول أنا رجل ثم يلد فهذه العبارة مما أنكر عليه لأنه إستثنى من قبول رجوعه ، أما إذا ولد فأوهم أنه يشترط في الحكم بأنوثته رجوعه إليها ، وذلك غيرمعتبر بلا خلاف بل بمجرد العلم بالحمل نحكم بأنه أنثى وإن لم يرضى . وكلام الغزالي محمول على هذا فكأنه قال : فلا نقبل رجوعه بل تجري عليه الأحكام إلا أن يكذبه الحس ، فالإستثناء راجع إلى جريان الأحكام لاإلى قبول الرجوع وهذا الذي ذكرناه من منع قبول الرجوع فيما هو عليه ، ويقبل رجوعه عما هو له قطعا ، وقد نبه عليه إمام الحرمين وأهمله الغزالي والرافعي وغيرهما ، الرابع : إذا حكم بقوله في جميع الأحكام وسواء اما له واما عليه . وقال إمام الحرمين : لأن ابن عشر سنين لوقال بلغت صدقناه لأن الإنسان أعرف بما جبل عليه . قال الإمام النووي وغيره : لومات للخنثى قريب فأخبر بالذكورة وارثه بما يريده قبل قوله وحكم له بمقتضاه ، ولو قطع طرفه فأخبر بالذكورة وجب دية رجل . وقال إمام الحرمين في كتاب الجنايات : لو أقر الخنثى بعد الجناية على ذكره بأنه رجل ظاهر المذهب أنه لايقبل إقراره لإيجاب القصاص ، قال : ومن أصحابنا من قال يقبل وهذا مزيد لا أصل له ، والوجه القطع بأن قوله غير مقبول بعد الجناية إذا كان يتضمن بثبوت حق له لولاه لم يثبت مالاً كان أوقصاصاً لأنه متهم ، وهذا الذي ذكره الإمام ظاهر والخلاف في إقراره بعد الجناية ، أماقبله فمقبول في كل شيء بلا خلاف ، الخامس : قد سبق أنه إنما يرجع إلى قوله إذا عجزنا عن العلامات ، فلوحكمنا بقبوله ثم وجد بعض العلامات فالذي يقتضيه كلام الأصحاب أنه لايبطل قوله بذلك ، لأنهم قالوا لايرجع عنه إلا أن يكذبه الحس لأنه حكم بدليل فلايترك بظن مثله

بل لابد من دليل قاطع . وذكر الرافعي فيه إحتمالين لنفسه ، أحدهما : هذا والثاني يحتمل أن يحكم بالعلامة كما تداعى إثنان طفلا وليس هناك فائق فانتسب بعد بلوغه إلى أحدهما ثم وجدنا فائقا فإنا نقدم الفائق على إخباره . والله أعلم .

الفصل الثاني : في أحكام الخنثى المشكل على ترتيب المهذب مختصراً جداً ، فإذا لم يتبين الخنثى بعلامة ولااخبار بقي على إشكاله ، وحيث قالوا خنثى فمرادهم المشكل ، وقد يطلقونه نادراً على الذي زال إشكاله لقرينة يعلم بها كقوله في التنبيه في باب الخيار في النكاح ، وإن وجد أحدهما الآخر خنثى ففي ثبوت الخيار قولان وهذه نبذة من أحكامه : إذا توضأ الخنثى المشكل أو إغتسل أوتيمم لعجزه عن الماء بسبب إيلاج أوملامسة ، فإن كان في موضع حكمنا بانتقاض طهارته صار الماء والتراب مستعملا ، وكل موضع لم نحكم بانتقاضها لإحتمال ففي مصيره مستعملا ، الوجهان في المستعمل في نقل الطهارة ذكره القاضي أبو الفتوح ، وفي ختانه وجهان سبقا في باب السؤال الأصح لايختن، وحكم لحيته الكثيفة كحكم لحية المرأة في الوضوء لافي إستحباب حلقها ، وقد سبق بيانه في الوضوء ، فإن خرج شيء من فرجيه إنتقض وضوءه ، فإن خرج من أحدهما ففيه ثلاث طرق ، وسبقت في أول الباب ، ولو لمس رجلا أو إمرأة أو لمسه أحدهما لم يجب الوضوء على احد منهم ، وإن مس ذكر نفسه أو فرجه أو فرج خنثى آخر أو ذكره لم ينتقض ، وكذا لو مس فرجه رجلا أوذكره أو إمرأة ، وقد سبق بيانه ، ولو مس إنسانا ذكرا مقطوعا وشك هل هو ذكر خنثى أو ذكر رجل قال القاضي أبو الفتوح في كتابه ( كتاب الخناثا ) يحتمل

أن لاينقض قطعا للشك ، قال : والأوضح أنه على الوجهين في ذكر الرجل المقطوع لندوره ، ولايجزئه الإستنجاء بالحجر في قبله على الأصح ، وقيل وجهان ، ولو أولج في فرج أو أولج رجل في قبله لم يتعلق به حكم الوطئ ، فلو أولج في إمرأة أو أولج في قبله رجل وجب الغسل على الخنثى وبطل صومه وحجه ، لأنه أما رجل أولج ، وأما إمرأة وطئت ولاكفارة عليه في الصوم ، إن قلنا لايجب على المرأة لإحتمال أنه إمرأة ، ويستحب له إخراجها ، قال البغوي : وكل موضع لايوجب الغسل على الخنثى لايبطل صومه ولاحجه ، ولايوجب على المرأة التي أولج فيها عدة ولامهر لها ، ولو أولج ذكره في دبر رجل ونزعه لزمه الوضوء لأنه إن كان رجلا لزمه الغسل ، وإن كان إمرأة فقد لمست رجلا ، ولوخرج من دبر الرجل شيء فغسل أعضاء الوضوء واجب والزيادة مشكوك فيها ، والترتيب في الوضوء واجب لتصح طهارته ، وقيل لايجب وهو غلط وسنوضحه في بابه إن شاء الله تعالى . ولو أن خنثيين أولج كل واحد في فرج صاحبه فلاشيء على أحد منهما لإحتمال زيادة الفرجين ، ولو أولج كل واحد في دبر صاحبه لزمهما الوضوء بالإخراج ولاغسل لإحتمال أنهما إمرأتان ، ولو أولج أحدهما في دبر صاحبه والآخر في دبر الأول لزمهما الوضوء بالنزع لاحتمال أنهما إمرأتان ولاغسل ، ولو أمنى الخنثى من فرجيه لزمه الغسل ، ومن أحدهما قيل يجب وقيل فيه وجهان . قال البغوي : ولو أمنى من الذكر وحاض من الفرج وحكمنا ببلوغه وإشكاله لم يجز له ترك الصلاة والصوم لذلك الدم المجوز أنه رجل ولايمس المصحف ولايقرأ في غير الصلاة ، فإذا إنقطع الدم إغتسل لجواز كونه إمرأة ، ولو أمنى من الذكر إغتسل ولايمس المصحف

ولايقرأ حتى يغتسل ، هكذا نقل البغوي هذه المسائل عن ابن سريج ، ثم قال : والقياس أنه لايجب الغسل بانقطاع الدم ، ولايمنع المصحف والقرآن ، كما لايترك الصلاة لذلك الدم ، فإن أمنى معه وجب ، كما لايجب الوضوء بمس أحد فرجيه ويجب بهما جميعا ، قال : وماذكره ابن سريج إحتياط . قلت : وقطع القاضي أبو الفتوح بأنه لايجب الغسل بخروج الدم من الفرجين وإن استمر يوما وليلة لإحتمال أنه رجل وهذا دم فاسد بخلاف المني من الفرجين لأنه لايكون فاسدا ، وبول الخنثى الذي لم تأكل شيئا كالأنثى فلا يكفي نضحه على المذهب ، وله حكم المرأة في الأذان والإقامة ، ولو صلّى مكشوف الرأس صحت صلاته ، هكذا أطلقه البغوي وكثيرون . قال أبو الفتوح : يجب عليه ستر جميع عورة المرأة ، فإن كشف بعضها مما سوى عورة الرجل أمرناه بسترها ، فإن لم يفعل وصلّى كذلك لم تلزمه الإعادة للشك . وذكر في وجوب الإعادة وجهين : ولاتجهر بالقراءة في الصلاة كالمرأة ، ولايجافي مرفقيه عن جنبيه إلى الركوع والسجود كالمرأة . قال أبو الفتوح : لانأمره بالمجافاة ولايتركها بل يفعل أيهما شاء ، والمختار ماقدمناه . وإذا نابه شيء في الصلاة صفق كالمرأة ، ولايؤم رجلا ولاخنثى فإن أمّ نساء وقف قدامهن ، ولاجمعة عليه بالإتفاق ولكن تستحب . قال أبو الفتوح : فلو صلى الظهر ثم بان رجلا وأمكنه إدراك الجمعة لزمه السعي إليها ، فإن لم يفعل لزمه إعادة الظهر . وهذا تفريع على الصحيح : إن الرجل إذا صلى الظهر قبل فوات الجمعة لايجزيه ، قال : فإن صلى بهم الجمعة أو خطب أو كمل به العدد لزمتهم الإعادة ، فإن لم يعيدوا حتى بان رجلا قال : ففي سقوط الإعادة وجهان : الصحيح تجب الإعادة ، ويحرم

عليه لبس الحرير لأنه أبيح للنساء للتزين للزواج ، وإذا مات فإن كان له قريب من المحارم غسله وإلا فالأوجه أصحها عن الخراسيين يغسله الأجانب من الرجال والنساء للضرورة ، وإستصحابا لما كان في الصغر ، والثاني يغسله أوثق من هناك من الرجال والنساء من فوق ثوبه . قاله الماوردي : الثالث يشتري له جارية من ماله وإلا فمن بيت المال تغسله ثم تباع ، وهذا ضعيف بالإتفاق . والرابع : هو كرجل أو إمرأة لم يحضرهما إلا أجنبية أو أجنبي وفيه وجهان : أحدهما يتيمم ، والثاني يغسل فوق ثوب ، وهذا الرابع إختاره ابن الصباغ والمتولي والشاشي وغيرهم . ويستحب تكفينه في خمسة أثواب كالمرأة ، وإذا مات محرما قال البغوي : لاتخمر رأسه ولاوجهه ، وهذا إن أراد به أنه يستحب فهو حسن إحتياطا ، لأنه إن كان رجلا وجب كشف رأسه ، وإن كان إمرأة وجب كشف الوجه فالإحتياط كشفهما ، وإن أراد وجوب ذلك فهو مشكل وينبغي أن يكفي كشف أحدهما .

ويقف الإمام في الصلاة عليه عند عجيزته كالمرأة ، ولو حضر جنائز قدم الإمام الرجل ثم الصبي ثم الخنثى ثم المرأة ، ولو صلّى الخنثى على الميت فله حكم المرأة فلايسقط به الفرض على أصح الوجهين ، ويتولى حمل الميت ودفنه الرجال فإن فقدوا فالخناثا ثم النساء ، وحيث أوجبنا في الزكاة أنثى لم يجزي الخنثى ، وحيث أوجبنا الذكر أجزأ الخنثى على الصحيح وفيه وجه لقبح صورته ويعد ناقصا ، ولاتباح له حلي النساء وكذا لايباح أيضا حلي الرجال للشك في إباحته ، ذكره القاضي أبو الفتوح .

ولوكان صائما فباشره بشهوة وأمنى بأحد فرجيه أورأى الدم يوما وليلة لم يفطر ، وإن إجتمعا أفطر وليس له الإعتكاف في مسجد بنية وإن جوزناه للمرأة ، وفيه إحتمال لأبي الفتوح قال : ولايبطل إعتكافه بخروج الدم من فرجه ولايخرج من المسجد إلا أن يخاف تلويثه ، ولو أولج في دبره بطل إعتكافه ، ولو أولج في قبله أوأولج في إمرأة أورجل أوصبي ففي بطلان إعتكافه قولان كالمباشرة بغير جماع ، قال أبوالفتوح : ولايلزمه الحج إلا إذا كان له محرم من الرجال والنساء كأخته وأخوانه يخرجون معه ، ولاأثر لنسوة ثقات أجنبيات فإنه لايجوز الخلف بهن .

قال أصحابنا : وإذا أحرم فستر رأسه أووجهه فلافدية فإن سترهما وجبت ، وإن لبس المخيط وستر وجهه وجبت ، وإن لبسه وستر رأسه فلا لإحتمال أنه إمرأة ، ويستحب ترك المخيط فإن لبسه استحب الفدية ، ولايرفع صوته بالتلبية ولايرمل ولايضطبع ولايحلق بل يقصر ويمشي في كل السعي ولايسعى كالمرأة ، ويستحب له أن يطوف ويسعى ليلا كالمرأة ولأنه أستر ، فإن طاف نهارا طاف متباعدا عن الرجال والنساء ، وله حكم المرأة في الذبح فالرجل أولى منه .

قال البغوي : ولو أولج البائع والمشتري في زمن الخيار أوالراهن والمرتهن في فرج الخنثى فليس له حكم الوطئ في الفسخ والإجارة وغيره . قال : واختار الأنوثة بعده تعلق بالوطئ السابق الحكم ، ولو إشترى خنثى قد وضح وبان رجلا فوجده يبول بفرجيه فهو عيب لأن ذلك لإسترخاء المثانة ، ولو كان يبول بفرج الرجال فقط فليس بعيب ، وإذا وكل بقبول نكاح أوطلاق فلم أرى فيه نقلا ، وينبغي أن يكون كالمرأة للشك في

أهليته ، ولو أولج فيه غاصب قهراً فلا مهر كما سبق ، ولايدخل في الوقف على البنين ولا البنات ، ويدخل في الوقف عليهما على الصحيح وفيه وجه ، ويدخل في الوقف على الأولاد .

ويسن لمن وهب لأولاده وفيهم خنثى أن يجعله كابن فلا يفضل الإبن عليه وجها واحدا وإن كان يفضل الإبن على البنت على وجه ضعيف ، ولو أوصى خنثى بعتق أحد رقيقه دخل فيه الخنثى على الصحيح وفيه وجه ، ويورث اليقين هو ومن معه ويوقف مايشك فيه ، ولو قال له سيده إن كنت ذكراً فأنت حر ! قال البغوي : إن إختار الذكورة عتق أو الأنوثة فلا ، وإن مات قبل الإختيار فكسبه لسيده لأن الأصل رقه ، قال : وقيل يقرع فإن خرج الإسم الحرية فهو موروث ، وإن خرج اسم الرق فهو لسيده .

ويحرم على الرجال والنساء النظر إليه إذا كان في سن يحرم النظر إليه إلى الواضح ، ولاتثبت له ولاية النكاح ، ولاينعقد بشهادته ولابعبادته ، ولو ثار له لبن لم تثبت أنوثته على المذهب ، فلو رضع منه صغير توقف في التحريم فإن بان أنثى حرم لبنه وإلا فلا ، وأما حضانته وكفالته بعد البلوغ فلم أر فيه نقلا . وينبغي أن يكون كالبنت البكر حتى يجوز في جواز إستقلاله وانفراده عن الأبوين إذاشاء وجهان ، وديته دية إمرأة ، فإن إدعى وارثه أنه كان رجلا صدق الجاني بيمينه ، ولايحتمل الدية مع العاقلة ، ولايقتل في القتال إذا كان حربيا إلا إذا قاتل كالمرأة ، وإذا أسرناه لايقتل إلا إذا اختار الذكورة ، ولاسهم له في الغنيمة ، ويرضخ له كالمرأة ولايؤخذ منه جزية ، فإن اختار الذكورة بعد مضي سنة أخذت منه جزية

مامضى ، ولايكون إماما ولاقاضيا ، ولايثبت بشهادته إلا ماثبت بإمرأة وشهادة خنثيين كرجل ، فهذه أطراف مسائل الخنثى نقحتها ولخصتها مختصرة وستأتي إن شاء الله تعالى مبسوطة بأدلتها وفروعها في مواطنها ، وقلّ ان يراها في غيرهذا الموضع . هكذا والله أعلم .

********

{ فائدة } قال إمامنا يحيى النووي إمام الشافعي في كتابه ( المجموع ) شرح المهذب العمدة لأهل كل مذهب ، فرع : الختان واجب على الرجال والنساء عندنا ، وبه قال كثيرون من السلف ، كذا حكاه الخطابي . وممن أوجبه : احمد . وقال مالك وأبوحنيفة : سنة في حق الجميع ، وحكاه الرافعي وجها لنا ، وحكى وجها ثالثا أنه يجب على الرجل وسنة في المرأة ، وهذان الوجهان شاذان . والمذهب الصحيح المشهور الذي نص عليه الشافعي رحمه الله وقطع به الجمهور : أنه واجب على الرجال والنساء . ودليلنا ماسبق ، فإن احتج القائلون بأنه سنة بحديث الفطرة عشر ومنها الختان فجوابه قد سبق عند ذكرنا تفسير الفطرة والله أعلم .

وقال فيه أيضا فرع : قال أصحابنا : الواجب في ختان الرجل قطع الجلدة التي تغطي الحشفة بحيث تنكشف الحشفة كلها ، فإن قطع بعضها وجب قطع الباقي . ثانيا : صرح به إمام الحرمين وغيره ، وحكى الرافعي عن ابن كج أنه قال : عندي أنه يكفي قطع شيء من القلفة وإن قل ، بشرط أن يستوعب القطع تدوير رأسها ، وهذا الذي قاله ابن كج شاذ ضعيف . والصحيح المشهور الذي قطع به الأصحاب في الطرق ماقدمناه أنه يجب قطع جميع مايغطي الحشفة . والواجب في المرأة قطع ماينطلق عليه الإسم من الجلدة التي كعرف الديك فوق مخرج البول ، صرح بذلك أصحابنا واتفقوا عليه . قالوا : ويستحب أن يقتصر في المرأة على شيء يسير ولايبالغ في القطع . واستدلوا فيه بحديث عن أم عطية رضي الله عنها : ان إمرأة كانت تختن بالمدينة ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : ( لاتنهكي فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب إلى البعل ) رواه أبوداود ، ولكن

قال : ليس هو بالقوي . وتنهكي بفتح التاء والهاء أي لاتبالغي في القطع والله أعلم .

وقال النووي أيضا في الكتاب المذكور ، فرع : قال أصحابنا : وقت وجوب الختان بعد البلوغ ، لكن يستحب للولي أن يختن الصغير في صغره لأنه أرفق به .

قال صاحب الحاوي وصاحب المستظهري والبيان وغيرهم : يستحب أن يختن في اليوم السابع لخبر ورد فيه إلا أن يكون ضعيفا لايحتمله فيؤخره حتى يحتمله . قال صاحب الحاوي والمستظهري : وهل يحسب يوم الولادة من السبعة ؟ فيه وجهان . قال أبوعلي بن أبي هريرة : يحسب ، وقال الأكثرون : لايحسب . فيختن في السابع بعد يوم الولادة ، ذكره صاحب المستظهري في باب التعزير . قال صاحب الحاوي : فإن ختنه قبل يوم السابع كره . قال : وسواء في هذا الغلام والجارية . قال : فإن أخر عن السابع استحب ختانه في الأربعين ، فإن أخر استحب في السنة السابعة . واعلم أن هذا الذي ذكرناه من أنه يجوز ختانه في الصغر ولايجب ، لكن يستحب ، هو المذهب الصحيح المشهور الذي قطع به الجمهور . وفي المسألة وجه : أنه يجب على الولي ختانه في الصغر لأنه من مصالحه فوجب ، حكاه صاحب البيان عن حكاية القاضي أبي الفتوح عن الصيدلاني وأبي سليمان قال : وقال سائر أصحابنا : لايجب . ووجه ثالث : أنه يحرم ختانه قبل عشر سنين ،لأن ألمه فوق ألم الضرب ، ولايضرب على الصلاة إلا بعد عشر سنين ، حكاه جماعة منهم القاضي حسين في

تعليقه ، وأشار إليه البغوي في أول كتاب الصلاة ، وليس بشيء ، وهو كالمخالف للإجماع والله أعلم .

قال النووي فيه ايضا : فرع : ولو كان لرجل ذكران قال صاحب البيان : إن عرف الأصلي منهما ختن وحده . قال صاحب الإبانة : يعرف الأصل بالبول . وقال غيره : بالعمل . فإن كانا عاملين أويبول منهما وكانا على منبت الذكر على السواء وجب ختانهما . وأما الخنثى المشكل فقال في البيان : قال القاضي أبو الفتوح : يجب ختانه في فرجيه جميعا ، لأن أحدهما واجب ولايتوصل إليه إلا بختانهما ، كما أن من تزوج بكراً لمّالم يتمكن من وصوله إلى الوطئ المستحق إلا بقطع بكارتها كان له ذلك بلا ضمان . قال : فإن كان الخنثى صغيرا ختنه الرجال والنساء إذا قلنا بالوجه الضعيف أن الصغيريجب ختانه ، وإن قلنا بالمذهب أنه لايجب ختان الصغير لم يختن الخنثى الصغير حتى يبلغ فيجب . وحينئذ إن كان هو يحسن الختان ختن نفسه ، وإلا اشترى له جارية تختنه . فإن لم توجد جارية تحسن ذلك ختنه الرجال والنساء للضرورة كالتطبب ، هذا كلام صاحب البيان . وقطع البغوي : بأن لايختن الخنثى المشكل ، لأن الجرح على الإشكال لايجوز ذكره قبل كتاب الصداق بأسطرفي فصلين ذكر فيهما أحكام الخنثى ، وهذا الذي ذكره البغوي هو الأظهر المختار والله أعلم .

وقال النووي فيه أيضا : فرع : قد ذكرنا أنه لايجب الختان حتى يبلغ ، فإذا بلغ وجب على الفور . قال صاحب الحاوي وإمام الحرمين وغيرهما : فإن كان الرجل ضعيف الخلقة بحيث لوختن خِيف عليه لم يجز

أن يختن ، بل ينتظر حتى يصير بحيث يغلب على الظن سلامته . قال صاحب الحاوي : لأنه لاتعبد فيما يفضي إلى التلف .

وقال النووي أيضا : فرع : لومات غيرمختون فثلاثة أوجه : الصحيح الذي قطع به الجمهور لايختن ، لأن ختانه كان تكليفا وقد زال بالموت . والثاني : يختن الكبير والصغير . والثالث : يختن الكبير دون الصغير . حكاهما في البيان ، وهما شاذان ضعيفان . وهذه المسألة موضعها كتاب الجنائز ، وهناك ذكرها الأصحاب ، وسنوضحها هناك إن شاء الله تعالى .

وقال النووي فيه أيضا : فرع : قال القاضي حسين والبغوي : يجب على السيد أن يختن عبده ، أويخلي بينه وبين كسبه ليختن به نفسه . قال القاضي : فإن كان العبد زَمِنا فأجرة ختانه في بيت المال ، وهذا الذي قاله فيه نظر، وينبغي أن يجب على السيد كالنفقة .

وقال النووي فيه أيضا : فرع : أجرة ختان الطفل في ماله ، فإن لم يكن له مال فعلى من عليه نفقته والله أعلم . وقال النووي أيضا : فرع : قال الشيخ أبومحمد الجويني في كتابه التبصرة في الوسوسة : لوولد مختونا بلا قلفة فلاختان ، لاإيجابا ولااستحبابا . فإن كان من القلفة التي تغطي الحشفة شيء موجود وجب قطعه ، كما لو ختن ختاناغير كامل فإنه يجب تكميله . ثانيا : حتى يبين جميع القلفة التي جرت العادة بإزالتها في الختان .

وقال النووي أيضا : فرع : في مذاهب العلماء في وقت الختان : قد ذكرنا أن أصحابنا استحبوه يوم السابع من ولادته . قال ابن المنذر في كتاب الختان من كتابه الاشراف : وهو عقب الأضحية ، وهي عقب

كتاب الحج . روي عن أبي جعفر عن فاطمة أنها كانت تختن ولدها يوم السابع قال : وكره الحسن البصري ومالك الختان يوم سابعه لمخالفة اليهود . قال مالك : عامة مارأيت الختان ببلدنا إذا ثغر الصبي . وقال احمد بن حنبل : لم أسمع في ذلك شيئا . وقال الليث بن سعد : يختن مابين السبع إلى العشر قال : وروي عن مكحول أوغيره أن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ختن ابنه اسحاق لسبعة أيام ، واسماعيل لسبع عشرة سنة . قال ابن المنذر بعد حكايته هذا كله : ليس في باب الختان نهي يثبت ، ولالوقته حد يرجع إليه ، ولاسنة تتبع ، والأشياء على الإباحة ، ولايجوز حظر شيء منها إلا بحجة ، ولانعلم مع من منع أن يختن الصبي لسبعة أيام حجة . هذا آخر كلام ابن المنذر والله أعلم .

******

( **فائدة** ) قال إمامنا النووي في شرح صحيح مسلم له : اعلم ان لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين : أحدهما : وهو مذهب معظم السلف أوكلهم انه لايتكلم في كيفية معناها ، بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله سبحانه وتعالى ، مع اعتقادنا الجازم أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، وأنه منزه عن التجسم والإنتقال والتحيز في جهة وعن سائرصفات المخلوقات ، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين ، واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم ، والقول الثاني : وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على مايليق بها على حسب مواقعها ، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهلها بأن يكون عارف بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع .

( فائدة ) وفي الشرح المذكور : اعلم ان العلماء نفع الله بهم من أهل الفقه والأصول وغيرهم اختلفوا في جواز المعاصي على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وقد لخص القاضي عياض رحمه الله مقاصد المسألة فقال : لاخلاف أن الكفر عليهم بعد النبوة ليس بجائز بل هم معصومون منه ، واختلف فيه قبل النبوة والصحيح أنه لايجوز . وأماالمعاصي فلاخلاف أنهم معصومون من كل كبيرة ، واختلاف العلماء هل ذلك بطريق العقل والشرع ؟ فقال الأستاذ أبو اسحاق ومن معه : ذلك ممتنع من مقتضى دليل العقل ، وقال القاضي أبوبكر ومن وافقه : ذلك من طريق الإجماع ، وذهبت المعتزلة إلى أن ذلك من طريق العقل ، وكذلك اتفقوا على أن كل ماكان من طريق الإبلاغ في القول فهم معصومون فيه على كل حال ، وأماماكان طريقه الإبلاغ في العقل فذهب بعضهم إلى

العصمة فيه رأسا ، وأن السهو والنسيان لايجوز عليهم فيه ، وقالوا : أحاديث السهو في الصلاة وغيرها مما سنذكره في مواضعه ، وهذا مذهب الأستاذ أبي المظفر الإسفرائيني من أئمة أئمتنا الخراسانيين المتكلمين وغير من مشائخ المتصوفة ، وذهب معظم المحققين وجماهير العلماء إلى جواز ذلك ووقوعه منهم وهذا هو الحق ، ثم لابد من تنبيههم عليه وذكرهم إياه ، أما في الحين على قول جمهور المتكلمين ، وأماقبل فإنهم على قول بعضهم للبسوا حكم ذلك ويبنوه قبل إنخرام مدتهم ،وليصح تبليغهم ما أنزل إليهم ، وكذلك لاخلاف أنهم معصومون من الصغائر منهم ، فذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف إلى جواز وقوعها منهم ، وحجتهم ظواهر القرآن والأخبار ، وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر ، وأن منصب النبوة يجل عن مواقعتها وعن مخالفة الله سبحانه وتعالى عمدا ، وتكلموا على الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وتأولوها ، وأن الذي ذكر عنهم في ذلك إنما هو فيما كان منهم على تأويل أوسهو أوعن إذن من الله سبحانه وتعالى في أشياء أشفقوا من المواخذة بها ، وأشياء منهم قبل النبوة ، وهذا هو المذهب الحق لماقدمناه ، ولأنه لوصح ذلك منهم لم يلزمنا الإقتداء بأفعالهم وإقرارهم وكثير من أقوالهم ، ولاخلاف في الإقتداء بذلك وإنما الخلاف هل ذلك على الوجوب أوعلى الندب أوالإباحة أوالتفريق فيما كان من باب القرب أوغيرها ، قال القاضي عياض : وقد بسطنا القول في هذا الباب في كتابنا الشفاء وبلغنا فيه المبلغ الذي لايوجد في غيره ، وتكلمنا على الظواهر في ذلك بمافيه كفاية ، ولايهولنك أن ينسب قوم

هذا المذهب إلى الخوارج والمعتزلة وطوائف من المبتدعة ، إذ منـزعهم فيه منـزع آخر من التكفير بالصغائر ، ونحن نتبرأ إلى الله تعالى من هذا المذهب ، فانظر هذه الخطايا التي ذكرت للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أكل آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة ناسيا ، ومن دعوة نوح صلى الله عليه وسلم على قوم كفار ، وقتل موسى صلى الله عليه وسلم لكافر لم يؤمر بقتله ، ومدافعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام الكفار بقول عرض به هو فيه من وجه صادق ، وهذه كلها في حق غيرهم ليست بذنوب ، لكنهم أشفقوا منها إذا لم تكن عن أمر الله تعالى ، وعتب على بعضهم فيها لقدر منـزلتهم من معرفة الله تعالى . هذا آخر كلام القاضي عياض والله أعلم

*****

{ فائدة } قال الشيخ ابن سعد المقدسي في كتابه المجموع المذهّب في قواعد المذهب : فصل : الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية ، وبيان هذا مقرر في موضعه ، وهذه الأحكام منحصرة في جلب المصالح ودرء المفاسد ، لأن الشريعة كلها مبنية على ذلك ، أما جلب المصالح فإمايكون المقصود الأعظم من تحصيلها في الآخرة وفي الدنيا ،أما النوع الأول فهو العبادات بأنواعها فمنها : الصلوات المشروعة بأنواعها وشروطها وسوابقها ولواحقها ويدخل في ذلك أبواب الطهارات كلها ، ومقدمات صلاة الجنازة من غسل الميت وتطهيره ومايتبعه من الكفن والدفن والتعزية ، وإما الزكوات والصيام والحج والجهاد والعتق بأنواعه من التحرير والتدبير والكتابة وأم الولد والوصايا والنذور وسائر أعمال البر ومايتعلق بذلك ، والنوع الثاني : الذي يكون المقصود الأعظم من تحصيله في الدنياهو المعاملات وهو على ضربين أحدهما : أن تكون المنافع مقصودة فيه بالتبعية ، فالأول هو الحاصل من طرق الحواس الخمس وهي : المذوقات والملموسات والمبصرات والمسموعات والمشمومات ، فأما المذوقات فيدخل فيها أبواب الأطعمة والأشربة ، والطعام أما نبات أوحيوان ، والحيوان لايؤكل إلا بعد الذبح فاستدعى ذلك أبواب الصيد والذبائح ، وأما الملموسات فمنها الوقاع ، والكلام فيه أربعة أوجه : أحدها فيما يفيد حله وذلك أبواب النكاح وشروط صحته ، وثانيها فيما يمنع إنعقاد سبب حله وهو المجوسية والمصاهرة والرضاع وبعض اختلاف الدين كالمجوسية والوثنية ، واستتبع ذلك أنكحة المشركين ، وثالثها : فيما يفيد تحريمه : وذلك إما مع بقاء السبب وهو الظهار والإيلاء ، أومع زوال

السبب وهو اما مؤبد كاللعان أوغيرمؤبد كالطلاق والخلع والردة ، ورابعها : فيما يبحث فيه عن لوازمه كالصدقات والنفقات والخلع والسكنى والقسم والنشوز والعدة والإستبرأ ، وقد يجب هذان فيما يمنع إنعقاد سبب الحل أيضا ، ومن أحكام الملبوسات أيضا : مايحل لبسه ومايحرم وما يحل إستعماله ومايحرم ، كأواني الذهب والفضة وطهارة الجلود بالدباغ ومالايطهر ، وأما المبصرات فهي من أنواع أحكام النكاح أيضا وملك اليمين ومعرفة المحرم ومايتعلق بذلك من حل النظر وتحريمه ، وأما المسموعات : فهي الغنا ومايتعلق بذلك من الدف واليراع والوتر ومايترتب على سامع ذلك وفاعله ، وحكم الآلة المتخذة له ، وأما المشمومات : فليس في الفقه مايتعلق بها سوى نبذة يسيرة وهي محظورات الإحرام . وأما الضرب الثاني : وهو ماالمنافع مقصودة فيه بالتبعية لكونها وسائل ومقاصد إلى الضرب الأول ، فهي الأموال والبحث عنها من ثلاثة أوجه : أحدها: فيما يفيد الملك وهو ان يكون بمعاوضة أوبغير معاوضة ، فالأول هو البيع والشراء ومافي معناه ، والبيع أما بيع الأعيان أوبيع المنافع ، وبيع الأعيان أما بيع العين بالعين أوبيعها بالدين وهو المؤجل ، أوبيع الدين بها وهو السلم ، وبيع المنافع يدخل فيه الإجارة والجعالة والمضاربة والمساقاة ، وأما مايفيد الملك بغير معاوضة فيدخل فيه الإرث والوصية والهبة والوقف وإحياء الموات والإلتقاط والعوض في المسابقة وأخذ الفئ والغنيمة وأخذ الزكوات ومافي معناها ، والوجه الثاني : فيما يفيد التسليط على ملك الغير اما بالتملك كالشفعة ورجوع البائع في عين مبايعه عند فلس المشتري أوموته ، أوبالتصرف كالوكالة والشركة والعارية أوبوضع اليد كالوديعة . والثالث : في

أسباب تمنع المالك من التصرف في ملكه ، كالرهن والتفليس والحجر ، فهذا ضبط الأحكام في جلب المصالح ، وأما دفع المضار فيقول : المضار أيضا أما أن يكون المقصود الأعظم من دفعها في الآخرة أوفي الدنيا ، فالأول هو الكفارات مثل كفارة الظهار واليمين والقتل ، فكفارتهن باليمين متوقفة على معرفة مايكون يمينا ومايقع به الحنث واستدعى ذلك كتاب الأيمان . والضرب الثاني : هو أقسام الخمس الضرورية وهي مضرة النفوس والأديان والأموال والأسباب والعقول ، فيدخل في الأول أحكام القصاص في النفس والطرف وأحكام الدية فيهما ومايتعلق بذلك ، ويدخل في الثاني أحكام الكفر والإسلام ومابه يصير الشخص مسلما أوكافراً ، وأحكام الردة ومن يقر على دينه من الكفاربالجزية ومايتعلق به من الأحكام ، ويصل بذلك عقد الهدنة ، ويدخل في الثالث أحكام الغصب أن أخذ المال بالإعلان ، وأحكام السرقة إن كان أخذه بالخفية ، وأحكام قطع الطريق إن كان أخذه بالحرابة ويصل به ، وبالأول أيضا أحكام العدة والإستبراء ، وقد تقدم . ويدخل في الخامس حد الشرب وبيان المحرم من الأشربة من غيره ، ولما كان كل أحد لايمكنه إستيفاء حقوقه من جلب المصالح ودفع المفاسد بنفسه احتيج إلى نصب الإمام لتنفيذ الأحكام وإيصال الحقوق إلى أهلها ، والأخذ على يد الظالم ، ولما كان الإمام لايمكنه القيام بجميع أمور العالم احتاج إلى نواب ، وهم الأمراء والقضاة ، فاستدعى ذلك ذكر أحكام الحكام ونوابه والقضاة ، ولما كان لم يقبل قول الإنسان على الغير إلا بحجة احتيج إلى الكلام في الحجة ، وأما أن يكون من نفس ذلك الغير كالإقرار واليمين المردودة أومن غيره كالشهادة ، فاستدعى ذلك الكلام في احكام

الشهود وتعارض البينات وكيفية الدعاوي وفيما يقوم مقام البينة كاليمين في القسامة ونحوها .

******

( فائدة ) قال الإمام محي الدين النووي في شرح صحيح مسلم : مَعَ بفتح العين ويجوز تسكينها في لغة حكاها صاحب المحكم والجوهري وغيرهما ، وهي للمصاحبة قال صاحب المحكم : مَعَ اسم معناه الصحبة ، وكذلك مع بإسكان العين ، غير أن المحركة تكون اسم وحرف ، والساكنة لاتكون إلا حرفاً ، قال الحياني قال الكسائي أي ربيعة : ومع بسكون ، فيقولون معكم ومعنا ، فإذا جاءت الألف واللام وألف الوصل اختلفوا ، فبعضهم بفتح العين وبعضهم بكسرها ، فيقولون مع القوم ، ومع أبيك ، وبعضهم يقول : مع القوم ومع أبيك ، أما من فتح فبناه على قولك كنا معاً ونحن معا ، فلما جعلها حرفا وأخرجها من الإسم حذف الألف وترك العين على فتحها ، هذه لغة عامة العرب ، وأما من سكن ثم كسر عند ألف الوصل فأخرجها مخرج الأدوات مثل : هل وبل ، فقال مع القوم مثل قولك : كم القوم ؟ وبل القوم . إنتهى مانقله النووي رحمه الله تعالى .

( فائدة ) من شرح أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تأليف الإمام الهمام علم الأئمة الأعلام خالد بن عبدالله الأزهري ، قول الفرزدق مخاطبا رجل من بني عذره هجاه ، يخبره عبدالملك بن مروان :

---

ماأنت بالحكم الترضى حكومته ولاالأصيل ولاذي الرأي والجدل

فأدخل : ال ، على ترضى وهو فعل مضارع مبني للمفعول ، وحكومته نائب فاعل به ، ولايختص ذلك عند ابن مالك بالضرورة بل أشار إلى قلته كقوله في النظم ، وكونها بمعرب الأفعال ، قل ، وهو اختيار ثالث في المسألة ، فإن بعض الكوفيين يجيزونه إختيارا ، والجمهور يمنعونه ويخصونه بالضرورة ، فالقول بالجواز علىقلته قول ثالث ، والمدرك

مختلف ، فابن مالك يرى أن الضرورة مايضطر إليه الشاعر ولم يجد عنه مخلصا ، ولهذا قال ليمكنه من أن يقول المرضي ، والجمهور يرون الضرورة ماجاء في الشعر ولم يجئ في الكلام سواء اضطر إليه الشاعر أم لا ، فلم يتوارد على محل واحد ، والحكم بفتحتين المحكم بين الخصمين للفصل بينهما ، والأصيل الحسيب والجدل بفتحتين ، شدة الخصومة .

...........................................................

( فائدة ) من طبقات الصوفية للمناوي : قال شقيق بن ابراهيم البلخي : لاتتعب في طلب الغنا فإنه إذا قسم لك الفقر لاتكون غنيا ، وقال : الفقراء إذا طمعوا في الأغنياء فقد اتخذوهم أربابا من دون الله . وقال ميز بين من تعطيه ومن يعطيك ، فإن كان من يعطيك أحب إليك فأنت محب للدنيا ، اومن تعطيه أحب إليك فأنت محب للآخرة ، قال : دخلت على أستاذي ابي هاشم الرماني وبطرف كسائي شيء مصرور ، فقال ماهذا ؟ قلت لوزات دفعهن أخي وقال تفطر عليهن الليلة ، قال : تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل ! لأكلمك أبدا وأغلق في وجهي الباب ، وقال شقيق : إنما قفل باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء : بأخذهم النعم ، وتركهم الشكر ، وبتعلمهم العلم للدنيا ، وتركهم العمل للآخرة ، وبمسارعتهم إلى الذنوب ، وتسويفهم بالتوبة إلى غد ، وبطول صحبتهم للصالحين وتركهم الإقتداء بأفعالهم ، وبدفنهم موتاهم وعدم إعتبارهم ، وبأن الدنيا مدبرة عنهم ويبتغونها ، والآخرة مقبلة نحوهم وهم عنها غافلون . واجتمع بشقيق هارون الرشيد وقال له : أنت شقيق الزاهد ؟ قال : شقيق ولست بالزاهد ، قال أوصني ، قال : إن الله أجلسك مكان الصديق وأنه يطلب منك مثل صدقة ، وأعطاك موضع الفاروق ويطلب منك الفرق بين الحق والباطل مثله ، وأقعدك مقعد ذي النورين ويطلب منك حياؤه وكرمه ، وأجلسك مجلس علي ويطلب منك العلم والعدل كما كان ، فقال : إن لله دارا يعرف بجهنم ، وأنه جعلك بواب تلك الدار ، وأعطاك ثلاثة أشياء : بيت المال والسوط والسيف ، وأمرك أن تمنع الخلائق من دخولها بهذه الثلاث ، فمن جاءك محتاجا فلاتمنعه من بيت المال ، ومن

خالف أمر ربه فأدبه بالسوط ، ومن قتل بغير حق فاقتله بالسيف ، فإن لم تفعل ماأمرك فأنت الزعيم لأهل النار ، والقدم لتلك الدار . مات شقيق المذكور سنة ١٧٤ اربع وسبعين ومائة . رضي الله عنه .

{ فائدة } من طبقات الصوفية للمناوي سئل الجرجاني عن الكلام المنقول عن أبي يزيد ممالايفهم : فقال : سلم له حاله ، وأيكم يجاهد نفسه كماجاهد ، دعا نفسه يوماً إلى عبادة فأبت فمنعها الماء سنة ، فجاهدوا تفهموا إشارته .

هذه القصيدة للفقيه الصوفي الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمه نفع الله به آمين :

ياضنيني ضنا حالي ولا اطمــــع بحيله
حيلة العبد فيما قدر الله قليـــــــــله
الآدمي مايقع له غير ما قد قضي لــــه
لوتعب ماتعب مازيدوا له فتـــــــيله
فاشكر الله على مااعطاك يابوجميـلـه
والزم الصبر فانه مذهب أهل الفضيله
كم وكم قد تقلب حال كم من قبــــــيله
أذكر آدم وفكر في قصصه الطويلـــــه
يوم هو في غرف ذيك الجنان الظليله
أندره سابق القدره ولا حد رثي لــــه
من دموعه ومن حـــــزنه وكثرة عويله
واعتبر بالذي الباري قضى في خليـله
أوقدوا له فلولا السابقه والوسيلـــــه
مانجا من تلظاها ولاهب شعيـــــــله
وايش قد جرعوا موسى بكاس ملي له
قد طرح في غببها الهائلات المهيلـــــه
قبل يفطم وسووا فيه كم من دغيلـــه
وإن ذكرت الذي مافي الخلائق مثيلـه
كان هو والصحابه كل أحد بالنقيلـــــه

ثم ضاقت بهم مكه وصارت زعيلـــه

مانفعهم ولا حط الحمول الثقيلـــــه

غير الابعاك من مكه وصدق المخيلـه

جاهدوا في طراد السابقات العجيلـه

واستردوا حرم مكه بصافي صقيلـــه

ذا كلامي لمن قد راح رخه وقيلـــــه

قبل يمسي في الشامات ماحد يقيلـــه

خاف ذا شي لشي يااهل الجباب الدويله

كل من لا يزيل المنكر الله يزيلـــــه

******

**( فائدة )** قال الإمام محي الدين النووي في تهذيبه : الطهارة في اللغة النظافة والتنزه عن الأدناس ، وفي الشرع رفع الحدث وإزالة النجاسة ومافي معناهما كالتيمم وتجديد الوضوء والغسل وإزالة النجاسة والأغسال المسنونة وطهارة المستحاضة وسلس البول ومافي معناهما ممن به حدث ولاتزيل نجسا ، ومن اقتصر على أن الطهارة رفع الحدث وإزالة النجاسة فليس بمصيب ، فإنه جدا ناقص لأنه يخرج منه ماذكرناه . والله أعلم . ويقال طهر الشيء بفتح الهاء وضمها لغتان مشهورتان : الفتح أفصح يطهر طهرا وطهارة ، وقوله في الوسيط والوجيز : يستحب الإستطهار في إزالة النجاسة بغسله ثانية وثالثة ، قال أبو القاسم الرافعي : يجوز أن يقرأ بالطاء المهملة ، وبالظاء المعجمة ، فبالمهملة طلب الطهر ، وبالمعجمة طلب الإحتياط ، وهذا كما قال الشافعي رحمه الله تعالى في أول المبتدأ المميزة إذا أستحيضت ، ولاتستطهر بثلاثة أيام ، قري بهما جميعا ، ثم قال الإمام النووي : هذا كلام الرافعي ، وقد ذكر صاحب البحر في كتاب الحيض : أن قول الشافعي لاتستطهر قري بالوجهين المعجمة والمهملة ، ولم يرجحوا واحدا منهما ، كما لم يرجحه الرافعي ، والصحيح الصواب المشهور المعروف المختار أنه بالمعجمة في الموضعين .

**{ فائـدة }** قـال زكـريا في إسـناد المطالـب : لوشـهد الـوالد لـولده أوالعدو على عدوه ، أوالفاسـق بمايعلمونـه مـن الحـق والحـاكم لايشـعـر بمـانع الشهادة فهل يأثمون بذلك ؟ قال ابـن عبدالسـلام : المختـار جـوازه لأنهـم لم يحملـوا الحـاكم عـلى باطـل عـلى إيصـال حـق إلى مسـتحقه ، ولاإثم عليـه ولاعلى الخصم ولاعلى الشاهد .

{ فائدة } قال المناوي في طبقاته : قال يحيى ابن معاذ : رأيت أبايزيد في بعض مشاهداته كالغريق ضاربا بذقنه على صدره شاخصا ببصره ، من العشاء إلى الفجر ، ثم سجد عند السحر فأطال سجوده ثم قعد فقال : اللهم إن قوما طلبوا منك فأعطيتهم طي الأرض والمشي على الماء وركوب الهواء وانقلاب الأعيان ، وإني أعوذبك منها ، ثم إلتفت فرآني فقلت ياسيدي حدثني بشيء ، قال : أحدثك بمايصلح لك : أدخلني الحق في الفلك الأسفل فدوّرني في الملكوت الأسفل فأرانيه ، ثم أدخلني الفلك العلوي وطوف بي في السموات وأراني مافيها من الجنان والعرش ، ثم أوقفني بين يديه فقال : أي شيء رأيته حتى أهبه لك ؟ فقلت ياسيدي مارأيت شيئا حسنا أسألك إياه ، فقال : أنت عبدي حقا تعبدني لأجلي صدقا ، لأفعلن بك وأفعلن بك ، وذكر أشياء ، قال ابن معاذ : فهالني ذلك وقلت له لِمَ لَم تسأله المعرفة ؟ قال : غرت عليه مني لاأحب أن يعرف سواه ، ثم قال المناوي : قال الديلمي : سألت عبدالرحمن ابن يحيى عن التوكل فقال : لوأدخلت يدك في فم التنين لاتخاف مع الله غيره ، فخرجت قاصدا أبايزيد لأسأله ، فدقيت عليه الباب فقال : ليس لك في قول عبدالرحمن كفاية ، ماجئت زائرا وقد أتاك الجواب من وراء الحجاب ، فلبثت سنة ثم قصدته فقال : مرحبا الآن جئت زائرا .

ودخل أبويزيد مدينة فهرع إليه جميع أهلها فقال : من هؤلاء ؟ قيل قوم رغبوا فيك ، قال : اللّهم إني اسألك أن لاتحجب الخلق بك عنك فكيف تحجبهم عنك بي ، ثم صلّى بهم الفجر والتفت فقال : اللّهم إني أنا الله لاإله إلا أنا فاعبدني ، فتركوه وقالوا مجنون مسكين . وصحبه رجل من

أهل الشهود ثلاثين سنة مع صيام أيامها وقيام لياليها فقال له ياسيدي : خدمتك وأطعتك ولم يظهر فيّ شيء ممايودع الحق قلوبكم ؟ قال ياولدي : لوصمت وقمت ثلاثمائة سنة ماتجد منها ذرة لأنك محجوب بنفسك منقطع عن رؤيتك بطاعتك ، قال دلني على دواء قال : إذهب واحلق لحيتك وانزع لباسك وعلّق بعنقك مخلاة فيها جوز وقل للصبيان : من صفعني صفعة أعطيته جوزة ، ثم در الأسواق كذلك عند من يعرفك ، فقال : سبحان الله ألمثلي يقال هذا ؟ قال قولك سبحان الله في معرض ذلك شرك ، لأنك رأيت عظمة نفسك فسبحتها ، فقال دلني على غير ذلك فقال : لادواء لك غيره . وقيل له بما وصلت إلى ماوصلت قال : جمعت الأسباب الدنيوية فربطتها بحبل القناعة ووضعتها في منجنيق الصدق ورميتها في بحر اليأس فاسترحت .

وروي أن شقيق البلخي وأبا تراب النخشبي قدما على أبي يزيد فقدمت السفرة وشاب يخدم أبايزيد فقال له البلخي : كل معنا يابني أويافتى فقال : إني صائم ، فقال أبوتراب : كل ولك أجرصوم شهر فأبى ، فقال له شقيق كل ولك أجر صوم سنة فأبى ، فقال ابويزيد : دعوا من سقط من عين الله فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة فقطعت يده . إنتهى .

قال المناوي : وقال احمد ابن خضرويه : رأيت رب العزة سبحانه وتعالى في النوم فقال : ياأحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبايزيد فإنه لايطلبني . مات الشيخ أبويزيد المذكور سنة ٢٦١ احدى وستين ومائتين ، عن ثلاث وسبعين سنة رحمه الله تعالى .

{ فائدة } قال الإمام محي الدين النووي في شرح صحيح مسلم : قال الشيخ الإمام أبومحمد بن عبدالسلام رحمه الله تعالى في كتابه القواعد : إذا أردت معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها ، فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائرفهي من الصغائر ، وإن ساوت أدنى مفاسدالكبائر وأربت عليه فهي من الكبائر ، فمن شتم الرب سبحانه وتعالى أوشتم رسوله صلى الله عليه وسلم أوإستهان بالرسل أوكذب أحدا منهم أوضمخ الكعبة بالعذرة اوألقى المصحف في القاذورات ، فهي من الكبائر ولم يصرح الشرح بأنه كبيرة ، وكذلك لو أمسك إمرأة محصنة لمن يزني بها أوأمسك مسلما لمن يقتله فلاشك أن مفسدة ذلك أعظم من مفسدة أكل مال اليتيم مع كونه من الكبائر ، وكذلك لودل الكفار على عورة المسلمين مع علمه أنهم يستأصلون بهم بدلالته ويسبون حريمهم وأطفالهم ويغنمون أموالهم ، فإن نسبته إلى هذه أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر ، وكذلك لوكذب على إنسان كذبا يعلم أنه يقتل بسببه ، أما إذا كذب عليه كذبا يؤخذ بسببه تمرة فليس كذبه من الكبائر . قال : وقد نص الشارع أن شهادة الزور وأكل مال اليتيم من الكبائر ، فإن وقع في مال خطير فهذا ظاهر ، وإن وقع في حقير فيجوز أن يجعلا من الكبائر فِطاماً عن هذه المفاسد ، كما جعل شرب قطرة من الخمر من الكبائر وإن لم يتحقق المفسدة ، ويجوز أن يضبط ذلك بنصاب السرقة . قال : والحكم بغير الحق كبيرة ، فإنّ شاهد الزور متسبب والحاكم مباشر ، فإذا جعل السبب كبيرة فالمباشر أولى ، وقد ضبط بعض العلماء الكبائر بأنها كل

ذنب قرن به وعيد ، أوحد ، أولعن ، فعلى هذا كل ذنب علم ان مفسدته كمفسدة ماقرن به الوعيد أوالحد أواللعن أوأكبر من مفسدته فهو كبيرة . ثم قال والأولى أن يضبط الكبيرة بما يشعر بتهاون مرتكبها في دينه إشعارا أصغر الكبائر والمنصوص عليها والله أعلم . وهذا آخر كلام الشيخ أبي محمد بن عبدالسلام .

قال الإمام أبوحسن الواحدي المفسر وغيره : إن حد الكبيرة غير معروف بل ورد الشرع بوصف أنواع من المعاصي بأنها صغائر ، وأنواع لم توصف وهي مشتملة على صغائر وكبائر ، والحكمة في عدم بيانها ان يكون العبد ممتنعا من جميعها مخافة أن تكون من الكبائر ، قالوا : وهذا شبيه بإخفاء ليلة القدر ، وساعة يوم الجمعة ، وساعة إجابة الدعاء في الليل ، واسم الله الأعظم ، ونحو ذلك مماأخفى والله أعلم . ثم قال النووي : قال العلماء : والإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة . وروي عن عمر وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهما : لاكبيرة مع إستغفار ولاصغيرة مع إصرار ، معناه الكبيرة تمحى بالإستغفار ، والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار . قال الشيخ محمد بن عبدالسلام في حد الإصرار : هو أن يتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بدينه إستشعار إرتكاب الكبيرة بذلك ، قال : وكذلك إذا اجتمعت صغائر مختلفة الأنواع بحيث يشعر مجموعها بما يشعر به أصغر الكبائر ، قال الشيخ أبوعمرو ابن الصلاح رحمه الله تعالى : المصر من تلبس من أضداد التوبة باستمرار على المعاودة أوباستدامة الفعل بحيث يدخل به ذنبه في حيز مايطلق عليه الوصف بصيرورته كبيرا عظيما ، وليس

لزمان ذلك وعدده حصر . والله أعلم . هذا مختصر مايتعلق بضبط الكبيرة إنتهى كلام النووي .

وفيه قوله صلى الله عليه وسلم ( ألاأنبئكم بأكبر الكبائر ، ثلاثا ، الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور ، أوقول الزور ) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكيا فجلس ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت . قال الإمام النووي : كرر هذا الكلام ثلاث مرات ، قال : وأما عقوق الوالدين فهو مأخوذ من العق وهو القطع ، وذكر الأزهري أنه يقال : عق والده يعقه بضم العين ، عقا وعقوقا إذا قطعه ولم يصل رحمه ، وجمع العاق عققه بفتح الحروف كلها ، وعقق بضم العين والقاف . وقال صاحب المحكم : عقق وعقق وعق وعاق بمعنى واحد وهو الذي شق عصاالطاعة لوالديه ، هذا قول أهل اللغة . وأما حقيقة العقوق المحتوم شرعا فقَلّ من ضبطه . فقد قال الشيخ الإمام أبومحمد ابن عبدالسلام رحمه الله تعالى : لم أقف في عقوق الوالدين وفيما يختصان به من الحقوق على ضبط أعتمد عليه بأنه لايجب طاعتهما في كل مايأمران به وينهيان عنه باتفاق العلماء رحمهم الله تعالى ، وقد حرم على الولد الجهاد بغير إذنهما يشق عليهما من توقع قتله ، أوقطع عضو من أعضائه ، ولشدة تفجيعهما علىذلك ، وقد ألحق بذلك كل سفر يخافان على نفسه أوعضو من أعضائه . هذا كلام الشيخ أبي محمد بن عبدالسلام .

قال الشيخ أبوعمرو ابن الصلاح في فتاويه : العقوق المحرم كل فعل يتأذى به الوالد ونحوه تأذياً ليس بالهين مع كونه ليس بالأفعال الواجبة ، قال : وربما قيل طاعة الوالدين واجبة في كل ما ليس بمعصية ، ومخالفة

أمرهما في ذلك عقوقا ، وقد أوجب كثيرا من العلماء رحمهم الله تعالى طاعتهما في الشبهات ، قال :وليس من علمائنا يجوز له السفر في طلب العلم والتجارة بغير إذنهما مخالفا لما ذكرته فإن هذا كلام مطلق وفيما ذكرته بيان ليفسد ذلك المطلق ، والله أعلم .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم ( إن الله جميل يحب الجمال ) اختلفوا في معناه ، فقيل معناه أن كل امره سبحانه وتعالى حسن جميل ، فله الأسماء الحسنى ، وصفات الجمال والكمال ، وقيل : جميل بمعنى مجمل ككريم وسميع ، بمعنى مكرم ومسمع ، قال الإمام أبو القاسم القشيري : معناه : وحكى الإمام أبو سليمان الخطابي أنه بمعنى ذي النور والبهجة ، أي مالكهما ، وقيل معناه : جميل الأفعال بكم والنظر إليكم ، يكلفكم اليسير ويعين عليه ، ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه ، قال : واعلم أن هذا الإسم ورد في هذا الحديث الصحيح ولكنه من أخبار الآحاد ، وورد أيضا في حديث الأسماء الحسنى ، وفي إسناده مقال ، والمختار جواز إطلاقه على الله سبحانه وتعالى .

ومن العلماء رحمهم الله من منعه ، قال الإمام أبوالمعالي إمام الحرمين : ماورد الشرع بإطلاقه في أسماء الله تعالى وصفاته أطلقناه ، ومامنع الشرع من إطلاقه منعناه ، ومالم يرد فيه إذن ولامنع لم نقض فيه بتحليل ولاتحريم ، فإن الأحكام الشرعية تتلقى من موارد الشرع ، فلو قضينا بتحليل أوتحريم لكنا منشئين حكما بغير الشرع ، قال : ثم لا يشترط في جواز الإطلاق وورود مايقطع به الشرع ولكن مايقتضي العمل وإن لم يوجب العلم فإنه كاف ، إلا أن الأقيسة الشرعية من مقتضيات العمل ، ولايجوز التمسك بها في تسمية الله تعالى ووصفه ، هذا كلام إمام الحرمين ومحله من الإتفاق والتحقيق بالعلم مطلقا ، وبهذا الفن خصوصا معروفا بالغاية العليا ، وأما قوله : لم نقض بتحليل ولاتحريم ولاإباحة ولاغير ذلك ، لأن الحكم عند أهل السنة لايكون إلا بالشرع ،

وقال بعض أصحابنا : أنها على الإباحة ، وقال بعضهم على التحريم ، وقال بعضهم : على الوقف لايعلم مايقال فيها والمختار الأول والله أعلم .

وقد اختلف أصحاب السنة في تسمية الله تعالى ووصفه من أوصاف الجلال والكمال والمدح بمالم يرد به الشرع ولامنعه ، فأجازه طائفة ومنعه آخرون ، إلا أن يرد به الشرع مقطوع به من نص كتاب أوسنة متواترة أوإجماع على الإطلاق ، فإن ورد خبر واحد فقد اختلفوا فيه ، فأجازه طائفة وقالوا الدعاء به والثناء من ثابت العمل ، وذلك جائز بخبر الواحد ، ومنعه الآخرون لكونه راجعا إلى إعتقاد مايجوز ومايستحيل على الله سبحانه وتعالى وطريق هذا القطع . وقال القاضي : والصواب جوازه لإشتماله على العمل ، ولقوله سبحانه وتعالى { **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** }[1] والله أعلم .

*******

[1] الآية : ١٨٠ الأعراف

{ **فائدة** } قال الإمام محي الدين النووي في شرح صحيح مسلم : والتظير الشأم ، وأصله الشيء المكروه من قول أوفعل أوأمرء ، وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم ، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحوائجهم وتشاءموا بها ، فكانت تصدقهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم ، فنفى الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه ، وأخبر أنه ليس له تأثير نفع ولاضر ، فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ( لاطيرة ) وفي حديث آخر ( الطيرة شرك ) أي إعتقاد أنها تنفع وتضر ، إذا علموا بمقتضاها معتقدين تأثيرها فهو شرك ، لأنهم جعلوا لها أثرا في الفعل والإيجاد ، وأما الفأل فمهموز ويجوز ترك همزه وجمعه فول كفلس وفلوس ، وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالكلمة الصالحة والحسنة والطيبة ، قال العلماء : يكون الفأل فيما يسر وفيما يسوء ، والغالب في السرور ، والطيرة لاتكون إلا فيما يسؤ ، قالوا : وقد تستعمل مجاز في السرور يقال : تفاءلت بكذا بالتخفيف ، وتفاءلت بالتشديد وهو الأصل ، والأول مخفف منه ومقلوب عنه ، قال العلماء : وإنما أحب الفأل لأن الإنسان إذا أمّل فائدة من الله سبحانه وتعالى وفضيلة عند سبب قوي أوضعيف فهو على خير في الحال ، وإن غلط في جهة الرجا ، فالرجا له خير . وأما إذا قطع رجاءه وأمله من الله سبحانه وتعالى فإن ذلك شر ، والطيرة فيها سوء الظن وتوقع البلاء ، ومن أمثلة الفأل أن يكون له مريض فيتفاءل بمايسمعه ممن يقول ياسالم ، أويكون طالب حاجة فيسمع من يقول ياواجد فيقع في قلبه رجاء البر والوجدان . والله أعلم .

( فائدة ) قال الإمام محي الدين في تهذيبه : التسبيح في اللغة التنزيه ، ومعنى سبحان الله تنزيها له من النقائص مطلقاً ومن صفات المحدثات كلها ، وهو اسم منصوب على أنه واقع موقع المصدر لفعل محذوف تقديره سبحت الله ، قال النحويون وأهل اللغة : سبحت الله تسبيحاً وسبحاناً ، فالتسبيح مصدر وسبحان واقع موقعه لايستعمل غالبا إلا مضافا كقولنا : سبحان الله وهو مضاف إلى المفعول به ، أي سبحت ، لأنه المسبح المنزه ، قال أبوالبقا رحمه الله تعالى : ويجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل لأن المعنى تنزه الله ، وهذا الذي قاله وإن كان له وجه فالمشهور المعروف هو الأول ، قالوا : وقد جاء غير مضاف كقول الشاعر : سبحانه ثم سبحاناً أنزهه ، قال أهل اللغة والمعاني والتفسير وغيرهم : ويكون التسبيح بمعنى الصلاة ، ومنه قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين** ﴾[1] أي المصلين ، والسبحة بضم السين صلاة النافلة ، ومنه قوله في الحديث ( سبحة الصبح وغيرها ) ومنه ماحكاه في هيئة الجمعة من المهذب قعود الإمام بقطع السبحة ، قال الجوهري رحمه الله : السبحة التطوع من الذكر والصلاة يقول : قضيت سبحتي ، قال : وإنما قيل للمصلي مسبح لكونه معظما لله عز وجل ، وعبادته إياه وخضوعه له ، فهو منزه بصورة حاله ، قالوا : وجاء التسبيح بمعنى الإستثناء ، ومنه قوله تعالى ﴿ **قال أوسطهم ألم أقل لكم لولاتسبحون** ﴾[1] أي تستثنون

---

[1] الآية : ١٤٣ الصافات

[1] الآية : ٢٨ القلم

وتقولون إن شاء الله ، وهوراجع إلى معنى التعظيم لله عز وجل للتبرك باسمه ، قال الإمام الواحدي رحمه الله تعالى : قال سيبويه رحمه الله : معنى سبحان الله براءة الله من السوء ، وسبحان اسم بهذا المعنى معرفة ، ويدل على ذلك قول القائل سبحان من علقمة الفاجر ، أي براءة منه ، قال : وهو ذكر تعظيم الله تعالى لايصلح لغيره وإنما ذكرناه نادرا أورده إلى الأصل وأجراه كالمثل ، ثم قال الإمام النووي : قلت : ومراد سيبويه رحمه الله تعالى أنه اسم معروف لاينصرف إذا لم يضف للعلمية ، وزيادة الألف والنون ، ولهذا لم يصرفه الأعشى ، ومنهم من يصرفه ويجعله نكرة كماتقدم في البيت السابق والله أعلم . ثم قال قلت : هذا أصل هذه الكلمة ثم إنها يؤتى بها للتعجب ومن ذلك قوله عز وجل ﴿ **سبحانك هذا بهتان عظيم** ﴾ [٢] قال أبو القاسم الزمخشري : سبحانك هنا للتعجب من عظم الأمر ، ثم قال : قلت : فإن قلت فما معنى التعجب في كلمة التسبيح ؟ قلنا الأصل من ذلك ان تسبيح الله عند رؤية التعجب من صناعته ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه ، ثم قال : قلت وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للمغتسلة من الحيض ( خذي فرصة من مسك فتطهري فقالت كيف أتطهربها ؟ قال سبحان الله تطهري بها ) وفي الحديث الآخر في الصحيح أن أبا هريرة لما انسل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسل وقال : كنت نجساً فقال صلى الله عليه وسلم ( سبحان الله المؤمن لاينجس ) ومعنى

---

[٢] الآية ١٦ النور

الحديثين العجز من خفا هذا الأمر الذي لايخفى ، ومثله ماحكاه في أول باب العدة من المهذب عن الوليد ابن مسلم قال : قلت لمالك ابن أنس رحمه الله حديث جميلة عن عائشة رضي الله عنها : لاتزيد المرأة على السنتين في الحمل ، قال مالك : سبحان من يقول هذا ! هذه إمرأة محمد ابن عجلان جارتنا تحمل أربع سنين ، أراد مالك رحمه الله تعالى التعجب من إنكار هذا الأمر مشاهدة ، ونظائر ماذكرناه كثيرة ، وكذلك تقول في التعجب : لاإله إلا الله ، وممن ذكر هذين اللفظين في ألفاظ التعجب من النحويين الإمام أبوبكر ابن السراج رحمه الله تعالى في كتابه الأصول ، والله أعلم .

ثم قال النووي : قوله في السجود من المهذب : سبوح قدوس ، هما لغتان مشهورتان أفصحهما وأظهرهما ضم أولهما وثانيهما ، والثانية : فتح أولهما مع ضم ثانيهما ، قال الجوهري : سبوح من صفات الله تعالى ، قال : كل اسم يغلب على فعول فهو مفتوح الأول إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيهما أكثر وكذلك الروح ، وقال ابن فارس في المجمل : سبوح هو الله تعالى عز وجل ، وكذلك قال الزبيدي في مختصر العين ، فحصل خلاف في أنه اسم الله سبحانه وتعالى أوصفة من صفاته ، وتسمية هذا خلافا يحرم على بعض أصحابنا المتكلمين من أن صفاته سبحانه وتعالى لايقال لها هي الذات ولاغيرها ، ويكون المراد بالسبوح والقدوس المسبح والمقدس ، فكأنه قال : مسبح ومقدس رب الملائكة والروح عز وجل ، والله أعلم .

والسبحة بضم السين وإسكان الباء خرز منظوم يسبح به ، معروفة يعتادها أهل الخير ماخوذة من التسبيح . والمسبحة بضم الميم وفتح السين وكسر الباء المشددة الأصبع السبابة ، وهي التي تلي الإبهام ، وسميت بذلك لأن المصلي يشير بها إلى التوحيد ، والتنزه لله سبحانه وتعالى عن التشريك . قال أصحابنا : ويكون إشارته عند الهمزة من قول إلاالله في قوله : أشهد أن لاإله إلا الله ، وأما صلاة التسبيح المعروفة فسميت بذلك لكثرة التسبيح فيها على خلاف العادة في غيرها ، وقد جاء فيها حديث حسن في كتاب الترمذي وغيره ، وذكرهما المحاملي وغيره من أصحابنا ، وهي سنة حسنة ، وقد أوضحتها أكمل إيضاح وسأزيدها أيضاحا في شرح المهذب مبسوطة إن شاء الله تعالى ، ومعنى سبوح قدوس المبرأ من النقائص والشرائك وكل مالايليق بإلآلهية ، وقدوس المطهر من كل مالايليق بالخالق ، قال الجوهري : وقيل القدوس المبارك ، قال القاضي عياض : وفيه قيل سبوحا قدوسا ، أي أسبح سبوحا أوأذكر أو أعظم أوأعبد ، والسباحة بكسر السين العوم في الماء يقال : سبح يسبح بفتح الباء فيها والله أعلم .

*******

**( فائدة )** من كتاب مغني اللبيب لإبن هشام : بلى حرف جواب أصلي الألف ، وقال جماعة : الأصل بل ، والألف زائدة ، وبعض هؤلاء يقول : إنها للتأنيث ، بدليل إمالتها ، وتختص بالنفي وتفيد إبطاله سواء كان مجردا نحو ﴿ **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي** ﴾ [١] أم مقرونا بالإستفهام حقيقيا كان نحو ( أليس زيد بقائم ) فتقول : بلى ، أوتوبيخا نحو ﴿ **أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى** ﴾ [٢] ﴿ **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه * بلى** ﴾ [١] أوتقريرا نحو ﴿ **ألم يأتكم نذير * قالوا بلى** [٢] ﴾ ﴿ **ألست بربكم قالوا بلى** ﴾ [٣] أجروا النفي مع التقرير مجرى النفي المجرد في رده ببلى ، ولذلك قال ابن عباس وغيره : لو قالوا نعم لكفروا ، ووجهه أن نعم تصديق للمخبر بنفي أو إيجاب ولذلك قال جماعة من الفقهاء : لوقال ( أليس لي عليك ألف ) فقال ( بلى ) لزمته ، ولو قال ( نعم ) لم تلزمه ، وقال آخرون : تلزمه فيهما ، وجروا في ذلك على مقتضى العرف لااللغة ، ونازع السهيلي وغيره في المحكى عن ابن عباس وغيره في الآية مستمسكين بأن الإستفهام التقريري خبر موجب ، ولذلك امتنع سيبويه من جعل أم

---

[١] الآية : ٧ التغابن

[٢] الآية : ٨٠ الزخرف

[١] الايات : ٣-٤ القيامة

[٢] الآيات : ٨- ٩ الملك

[٣] الآية : ١٧٢ الأعراف

متصلة في قوله تعالى ﴿ **أفلا تبصرون * أم أنا خير منه** ﴾[٤] لأنها لاتقع بعد الإيجاب ، وإذا ثبت أنه إيجاب فنعم بعد الإيجاب تصديق . إنتهى . ويشكل عليهم أن ( بلى ) لايجاب بها عن الإيجاب وذلك متفق عليه ، ولكن وقع في كتب الحديث مايقتضي انها يجاب بها الإستفهام المجرد ، ففي صحيح البخاري في كتاب الإيمان انه عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه ( أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ ) قالوا : بلى ، وفي صحيح مسلم في كتاب الهبة ( أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء ؟ ) قال : بلى ، قال : ( فلا إذن ) وفيه أيضا أنه قال ( أنت الذي لقيتني بمكة ؟ ) فقال له المجيب : بلى ، وليس لهؤلاء أن يحتجوا بذلك لأنه قليل فلايتخرج عليه التنزيل . واعلم أن تسمية الإستفهام في الآية تقريرا عبارة جماعة ، ومرادهم أنه تقرير بمابعد النفي كمامر في صدر الكتاب ، وفي الموضع بحث أوسع من هذا في باب النون .

---

[٤] الآيات : ٥١- ٥٢ الزخرف

**( فائدة )** من شرح باشاد لمقدمته قال : فإن قيل فما حكم التثنية في الإضافة فقل : بحذف نونها أبدا كما يحذف النون في الإضافة ، لأنها كالعوض من الحركة والتنوين ، فتقول : هذان رجلاك وإمرأتاك ورجلاه وإمرأتاه ورجلا زيد وإمرأتا زيد ، فإن أضيفت المثنى إلى ياء النفس فإذا كانت النفس مفتوحة أبدا لإجتماعها مع ألف التثنية ، وياء التثنية تحركها لإلتقاء الساكنين فتقول : هذان رجلاي ، ورأيت رَجليّ ، ومررت برجليّ ، لاتدغم ولايدغم فيها ، فاعرف ذلك وقس عليه تصب إن شاء الله تعالى ، فإن ثنيت مثل : مصطفى ومجتبى فعامله هذه المعاملة ، وإن ثنيت مهموز همزته أصلية مثل قثاء وحناء ووضاء فأقر الهمزة على حالها ، وإن ثنيت ماهمزته زائدة للتأنيث مثل حمراء وصفراء وسوداء فاقلبها ابدا في التثنية واوا مرفوعة كانت أومنصوبة أومجرورة ، وإن ثنيت ماهمزته منقلبة عن حرف أصلي مثل كساء ورداء وعطاء وسقاء وشفاء ووطاء ، فأنت فيه مخير ، إن شئت أقررت الهمزة على حالها وشبهتها بالأصل وإن شئت قلبتها واوا وشبهتها بالزائد فتقول : عطاوان ، وعطآن ، ومأشبه ذلك ، وإقرارها على لفظها أكثر وأقيس وأجود ، وإن ثنيت ماهمزته زائدة للإلحاق مثل : علياء وزيراء وفيعاء وقوناء وهو قليل فوجهان أيضا ، أجودهما القلب ، فاعرف ذلك وقس عليه فإن هذه أصول لايحسن جهلها ، لأن جهلها يفسد اللغة ويخلط مايجوز بمالايجوز .

{ فائدة } منه قال : وأما قولنا : أما الظاهر فهو كل مادل بظاهره وإعرابه على المعنى المراد به فإن الدلالة دلالتان ، دلالة تدل دلالة الذات ،

ودلالة تدل دلالة الإعراب ، فدلالة الذات هي التي تدل على ذات الشيء في نفسه ، ودلالة الإعراب هي التي تدل على عوارضه التي تعرض فيه ، ألا ترى أنك تقول : ماأحسن زيد ؟ يفهم من معنى الشخصية وهو ذاته ، ولايعرف ماقصدت من المعاني من نفي الإحسان عنه وإثبات الحسن له ، والإستفهام عن ذلك ، فإذا أردت النفي قلت : ماأحسن زيد ، برفع زيد ، وإذا أردت إثبات الحسن له على طريق التعجب قلت : ماأحسن زيداً ، بالنصب ، وإذا أردت الإستفهام جررت زيدا ورفعت أحسن ، قلت : ماأحسن زيد ، فهذه ثلاثة لم يفرق لك بين كل واحد منها وبين الآخر إلا الإعراب ، فبان لك أن الإسم الظاهر مادل بظاهره وإعرابه على المعنى المراد به ، وبان لك شدة الحاجة إلى معرفة الإعراب كمعرفة الذات وكما لايصح أن تجهل معرفة الإعراب ، لأن البيان مرتبط بهما جميعا .

عبارة أخرى في هذه المسألة الغراء ، قال الشيخ طاهر باشاد رحمه الله في موضع آخر من مقدمته المحسية : وأما قولنا فهذه جملة الأسماء الظاهرة المعربة كلها تستحق الإعراب ، لأنها تدل على المعاني المختلفة بصفة واحدة ، بدليل قولك : ماأحسن زيدا ، وماأحسن زيدٍ ، وماأحسن زيدٌ . فلولا الإعراب ماعرفت هذه المعاني المختلفة ، ولكانت تختلط، لأن هذه الجملة هي ثمرة ماقدمنا ذكره من حصر جملة الأسماء الظاهرة المعربة العشرة لتستعمل الإعراب مايستحقه ، على قضية مافسر به كل واحد منها ، فإذا استعملت المسائل من القسم الأول استوعبت الإعراب كله . ثم قال الإمام طاهر باشاد : تمثيل هذه المسألة أعني ماأحسن زيد ، لأن هذه اللفظة تصلح لثلاثة معان ، نفي الإحسان ،

والتعجب من الحسن ، والإستفهام من الحسن ، يعني في أدبه . ولها معنى رابع وهو الإستفهام عما أحسنه من أعماله وأفعاله الخارجة عن ذاته ، فإذا نفيت قلت : ماأحسن زيد ، فما هنا حرف وليس بإسم ، وهي حرف نفي بمعنى أنه لم يحسن في فعله ، فهذا ذم وما فيه حرف وأحسن فعل ماض منصرف وزيد فاعل ، وإذا تعجبت : ماأحسن زيدا ، فماهنا إسم وليس بحرف وهو مقدر بشيء وموضعه رفع بالإبتداء ، وخبر الإبتداء أحسن زيدا ، اخبر بجمله من فعل وفاعل ومفعول ، وأحسن فعل ماض غير منصرف ههنا وفي جميع التعجب ،وفاعل أحسن مستتر يرجع إلى ما ، ولايظهرقط في تثنية ولاجمع ولافي تأنيث ، وزيدا مفعول منصوب بأحسن إنتصاب المفعول لايجوز أن يتقدم على أحسن ولاعلى ما ، لأن فعل التعجب يجري مجرى المثل فلايغير كما لايغير الأمثال والتقدير شيء أحسن زيد ، فقولك حسن وأحسن في موضع رفع لكونه خبر المبتدأ وهذا مدح ،وإذا استفهمت ماأحسن زيد فما ههنا أيضا اسم تام إلا انها مقدرة بأي من حيث كان الكلام إستفهاما بها ، وهي في موضع رفع بالإبتدأ كما كانت في التعجب ، وأحسن ههنا اسم مضافا إلى زيد وليس هو ههنا بفعل وإنما هو افعل الذي بمنزلة أفضل وأكرم وأنبل من كذا وكذا ، فالإخبار في هذه المسألة بمفرد ، والإخبار في المسألة التي قبلها بجملة ، والإستفهام ليس بمدح ولاذم ، بخلاف المسألتين المتقدمتين ، وإنما هو إستخبار واستدعا للخبر بمعنى أي شيء منه أحسن ، ويقتضي جوابا ، والمسألتان المتقدمتان لاتقتضيان جوابا ، فقد ظهر لك الفرق من كل واحدة من هذه المسائل ، وأن كل واحدة منها غير الأخرى ، وأن

الإعراب في اللفظ والتقدير على مابينا ، فاعرف ذلك وقس عليه جميع هذه المسائل من هذه الأقسام العشرة ، أعني باب فليس ومأأشبهه ، وباب غلام زيد والرجل ، وباب أحمد وزينب ومأأشبهه ، وباب الفتى والمولى ومأأشبهه ، وباب حكى وسكرى ومأأشبهه ، وباب أخيك وأبيك ومأأشبهه ، وباب الغاشية ومأأشبهه ، وباب الجمع السالم ومأأشبهه . إنتهى .

( **فائدة** ) منه قال : فإن قيل لم جاءت النون في نفعني وليست بضمير ؟ قيل جاءت وقاية للفعل ليسلم من الكسر عليها ، لأن ياء المتكلم يكون ماقبلها مكسوراً ، فالنون في نفعني حرف ، والنون في نفعنا اسم .

( فائدة ) إعلم أن هذا الكتاب الذي ينقل منه هذه الفوائد هو كتاب المقدمة وشرحها للشيخ طاهر بن احمد بن شاد النحوي اللغوي من أجل وأنفع ماصنف في فن العربية ، فعليك به فحصل نسخة منه صحيحة وكررها بالقراءة على شيخ ، وبالدرس بعد القراءة والمراجعة وكثرة الترداد ، فإن فيه ماتطلبه وترغبه . وهذه فهرست فصول الكتاب المذكور بحسب الإمكان : فصل : الإسم كل فصل من هذه الفصول مشتمل على ثلاثة أشياء ، ماهو في نفسه وماقسمته وماحكمته ، فصل : الأسماء الظاهرة ، فصل : الأسماء المضمرة ، فصل : الأسماء لاظاهرة ولامضمرة ، فصل : الفعل ، فصل : الحرف ، فصل : الحروف التي ليست بعاملة ، فصل : الحروف التي تعمل على صفة ولاتعمل على صفة أخرى ، فصل : الرفع ، فصل : النصب ، فصل : الجر ، فصل : الجزم ، فصل : العامل ، فصل : وأما الحروف العاملة فقد ذكرت ، فصل : من الأسماء العاملة الصفات

المشبهة بأسماء الفاعلين ، فصل : أسماء الأفعال مثل تراك ودراك ، فصل : من الأسماء العاملة المشتقة المصدر والمقدر بان والفعل ، فصل : التابع ، فصل : النعت ، فصل : عطف البيان ، فصل : جملة الأبدال ، فصل : النسق ، فصل : الخط ، فصل : المقصور ، فصل : المهموز ، فصل : الوصل والقطع ، فصل : وأما الحذف فأكثر مايكون مع حرف المد واللين .

*******

( **فائدة** ) ذكر الإمام المناوي في طبقاته : من كرامات الطيب ابن إسماعيل المعروف بابن حمدون انه عمي فكان يقوده خادمه إلى المسجد ، فقال له يوما : ياأستاذ إخلع نعليك ، قال لم ؟ قال فيهما أذى غنم ، ورفع يديه فدعا بدعوات ومسح بهما وجهه فأبصر حالا . وصلى ليلة فأدغم حرفا فرأى نورا قد تلبث به وهو يقول : بيني وبينك الله ن قال من أنت ؟ قال : أنا الحرف الذي أدغمتني ، قال : لاأعود أبدا . وكانت له صحيفة فيها مكتوب ثلاثمائة من أصدقائه يدعو لهم كل ليلة فتركهم ليلة ونام ، فقيل له لك لم لاتسرج مصابيحك الليلة ؟ فقعد فأسرج السراج وأخذا الصحيفة ودعا لهم واحدا واحدا حتى فرغ . إنتهى .

( فائدة ) منه ، قال أبوسليمان الداراني عبدالرحمن بن عطيه : لاينبغي لفقير أن يزيد في نظافته على نظافة قلبه ، ليتشاكل باطنه ظاهره . وقال : ليت قلبي في القلوب كثوبي في الثياب . وقال : من صارع الدنيا صارعته وإذا سكنت الدنيا قلبا ترحلت عنه الآخرة . وقال : من أظهر الإنقطاع إلى الله فقد لزمه خلع مادونه من عنقه . وقال : من أحسن في نهاره كوفي في ليله ، ومن أحسن في ليله كوفي في نهاره . وقال : واسكنهم الغرف قبل أن يطيعوه ، وأسكنهم النار قبل أن يعصوه ، لايسئل عما يفعل وهم يسئلون . وقال : القناعة أول الرضا ، والرضا أول الزهد . وقال : هانوا عليه فعصوه ، ولو كرموا عليه لمنعهم منها . وقال : إذا وصلوا إليه لم يرجعوا أبدا وإنما رجع من رجع من الطريق ، وإنما حرموا الوصول بتضييع الأصول ، ومن لم يتخلق لم يتحقق ، وعلامة من صح وصوله الخروج عن الطبع ، والأدب مع الشرع ، وإتباعه حيث سلك . وقال : من أكل ليسر-

أخاه لم يضره أكله . وقال : القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة ، فأي باب فتح له عمل فيه . وقال إن الله يفتح للعارف على فراشه مالايفتح عليه وهو قائم يصلي . وقال : ذهب المطيعون لله بلذيذ العيش في الدنيا والآخرة . وقال : الرضا عن الله والرحمة للخلق درجة المرسلين . وقال : لاتصحب إلا أحد رجلين : رجل ترتفق به في دنياك ، ورجل تنتفع به في آخرتك ، والإشتغال بغير هذين حمق . وقال : الدنيا تطلب الهارب وتهرب ممن طلبها ، فإذا أدركت الهارب جرحته ، وإن أدركها طالبها قتلته . وقال : لو إجتمع الناس على أن يضعوني كإتضاعي عند نفسي ماقدروا ، ومن رأى لنفسه قيمة لم يجد الحلاوة في الخدمة . إنتهى .

( فائدة ) من كلام عبدالله بن حبيق ابن السابق الكوفي رحمه الله : إن لم تخش أن يعذبك الله على أفضل أعمالك فأنت هالك . وقال : أساس الأدب أن يعرف الرجل قدره . وقال : أنفع الرجاء ماسهّل عليك العمل . وقال : أوحى الله إلى موسى : لاتغضب على الحمقا فيكثر غمك . وقال : كان حبر من أحبار بني إسرائيل يقول : يارب كم أعصيك ولاتعاقبني ؟ فأوحى الله إلى نبي من الأنبياء قل له : كم أعاقبك وأنت لاتدري ، ألم أسلبك حلاوة مناجاتي . وقال : من عاتب نفسه في مرضاة الله أمنه الله من مقته . وقال : مكتوب في الحكمة : من رضي بدون قدره رفعه الله فوق غايته . وقال : أنت لاتطيع من أحسن إليك فكيف تحسن إلى من يسيئ إليك . وقال : لا أستغني حال من الأحوال عن الصدق وهو مستغني عنها كلها ، ولوصدق عبد فيما بينه وبين الله حق الصدق إطلع على خزائن الغيب . وقال : وحشة العباد عن الحق أوحشت منهم

القلوب ، ولو أنسوا بربهم ولزموا الحق لأستأنس بهم كل أحد . وقال : طول الإستماع إلى الباطل يطفي حلاوة الطاعة من القلب . وقال : من أراد أن يعيش هنيئا في حياته فلينزل الطمع من القلب . وقال : لاتغتم إلا من شيء يضرك غدا ، ولاتفرح إلا بشيء يسرك غدا ، وأنفع الخوف ماحجرك عن المعاصي وأطال منك الحزن على مافاتك وألزمك الفكرة في بقية عمرك . وقال : خلق الله القلوب منازل للذكر فصارت مساكن للشهوات ، ولايمحي الشهوات من القلوب إلا خوف مزعج أوشوق مقلق .

( فائدة ) منه قال الصفا لعبدالله بن داود الهمداني ثم الشعبي المعروف بالجويني فقال له : ماجاء بك ؟ قال : جئت أطلب الحديث ، قال : إذهب فاحفظ القرآن ، قال : حفظته ، قال : فتعلم الفرائض ؟ قال : فتعلمتها ، قال : فأيما أقرب إليك ابن أخيك أو ابن عمك ؟ قال : ابن أخي ، قال : ولم ؟ قال لأن ابن أخي من أبي وعمي من جدي ، قال : إذهب الآن فتعلم العربية ، قال : تعلمتها قبل ذين ، قال : فلم ؟ قال عمر حين طعن : يالله ياللمسلمين ، لم فتح تلك اللام وكسر هذه للإستعارة ؟ قال : لوحدثك أحد لحدثتك .

*******

**( فائدة )** قال ابن خلكان في تاريخه من نظم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى هذه الأبيات :

إن الذي رزق اليسار لم يصب ... حمـــــداولاأجرا لغير موفق

ماهمتي إلا مقارعة العـــــــدا ... خلق الزمان وهمتي لم تخـلق

الجـد يدني كل أمــر شاسع ... والجد يفتح كل باب مغلق

فإذاسمعت بأن مبخوت حوى ... عودا فأ ثمرفي يديه فصدق

وإذا سمعت بأن محــــروما أتى ... ماء ليشربه فـغاص فحقــق

ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

وأحق خلق الله بالهم امـــرؤ ... ذو همة يبـــلى بعيش ضيق

فلربما عرضت لنفسي فــــكرة ... فأود منها أنـــــني لم أخلق

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني ... بنجوم أقطار السماء تعـــلق

لكن من رزق الحجا حرم الغنى ... ضدان مفترقان أي تفـــرق

وأحق خلق الله بالهم امــــرء ... ذو همة يبلى برزق ضـــيق

والمرء كالمخبـــــؤ تحت لسانه ... ولسانه مفتاح باب مـــغلق

والناس أعينهم إلى سلب الفتى ... لاينظرون إلى الحجا والأولق

******

**( فائدة )** قولهم في كتب التفاسير واللغة : قال أهل العالية : العالية بالعين المهملة والياء المثناة تحت ، وهي مافوق نجد إلى أرض تهامة ، وإلى ماوراء مكة وماوالاها ، والنسبة إليها : عالي وعلوي ، على غير قياس كذا في الصحاح . إنتهى .

( فائدة ) قول النابغة الذيباني :

واحكم كحكم فتاة الحي إذنظرت إلى حمام سراع وارد الثمد

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد

فحسبوه فألفوه كما ذكرت تسعا وتسعين لم ينقص ولم يزد

فكملت مائة فيها حما متها وأسرعت حسبة في ذلك العدد

والمعنى كن حكيما كفتاة الحي ، وهي زرقاء اليمامة ، قيل وكانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام وقصتها أنهاكانت لها قطاة ، ثم مر بها سرب من القطا بين جبلين فقالت : ليت الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد تم الحمام مائة ، فنظر فإذا القطاة قد وقع في شبكة صياده ، فعده فإذا هوست وستون قطاة ، ونصفه ثلاث وثلاثون قطاه ، فإذا ضم ذلك إلى قطاتها كان مائة . ووصف الحمام بصفة الجمع وهو سراع وسراع ، يحتمل أوله الإعجام والإهمال ، وبصفة الإفراد وهو وارد ، والثمد بفتح المثلثة والميم ، الماء القليل ، وحسبوه من الحساب وهو العدد . إنتهى .

( **فائدة** ) قال الشيخ أبوبكر الشبلي المكنى دلف رحمه الله : إلهي أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك . وقال : ليس للأعمى من رؤية الجوهرة إلا لمسها ، ولاللجاهل من الله إلا ذكره باللسان . وقال : السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة ، فمن عرف الإشارة حل له إستماع العبارة ، وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلاء . وسمع قارئا يقرأ ﴿ **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك** ﴾ [١] فأغمي عليه ، فلما أفاق جعل يقول : بمثل هذا يخاطب الأحباب . وقال : ليس الكامل من يوصل كل يوم ألفا من العوام بل الكامل من يوصل فقيها واحدا في مائة عام . وفي قصة موسى الخضر عليهم الصلاة والسلام كفاية لكل معتبر . وقال : الإفلاس ياناس الإستئناس بالناس . وقال : إلزم الوحدة وامح رسمك من القوم ، والزم الحذر حتى تموت . وقال : لوكان لي في القيامة أمر سألت الله أن يملأ جهنم مني وحدي لئلا يبقى فيها متسع لغيري ، لأفدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فرأى في نومه الحق سبحانه وتعالى يقول : أماتستحي ان تقول ماقلت ؟ إن كنت تتكرم على خلقي بمايضرك فأنا خالق الكرم وأولى أن أتكرم عليهم بمالايضرني ، فقال : وعزتك قد بهت فلم أدري ما أقول . وجاءه رجل فقال : أي الصبر أشد ؟ قال : الصبر في الله ،قال لا ! قال : فالصبر مع الله ، قال لا ! قال : فالصبر لله ، قال لا ! قال : فإيش ؟ قال : الصبر عن الله . وخرج الشبلي فكادت روحه تخرج ، ثم أنشد شعراً :

الصبر يجمل في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه لا يجمل

---

[١] الآية ٨٦ الإسراء

وحج رضي الله عنه ونفعنا به ، فلما رأى الكعبة أغمي عليه ثم أنشد رضي الله عنه شعراً :

هذه دارهم وأنت محب ... مابقاء الدموع في الآماق

وسمع قائلا يقول :

أسائل عن ليلى فهل من مخبر ... يكون له علم بها كيف تنزل

فصاح وقال : والله ماعنها من الناس مخبر . وسئل هل تظهر صحة الوجد على الواجدين ؟ فقال : نور يظهر مقارنا لنيران إشتياق ، فتلوح على الهياكل آثارها . وأذن مرة فلما تشهد قال : لولا أمرتنا بهذا الذكر ماذكرت معك غيرك . ودخل على الجنيد فقال الجنيد: من كان همه الله طال حزنه ، فقال الشبلي : لا بل من كان الله همه زال حزنه .

**( فائدة )** من طبقات الشعراني الكبرى ، قال نفع الله به في ترجمة الشيخ أبو المواهب محمد الشاذلي وكان رضي الله عنه يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي : قل عند النوم : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، خمسا ، بسم الله الرحمن الرحيم ، خمسا ، ثم قل : اللّهم بحق محمد وآل محمد أرني وجه محمد حالا ومآلا ، فإذا قلتها عند النوم فإني آتي إليك من كل بد ، ولاأتخلف عنك أبدا . ثم قال : ماأحسنها من رؤية ومن معنى لمن آمن به . ثم قال الشعراني بعد تمامه : هذا منقول من لفظه رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له : يارسول الله إني متطفل في علم التصوف ، فقال صلى الله عليه وسلم : إقرأ كلام القوم فإن المتطفل على هذا العلم هو الولي ، وأما العالم به فهو كالنجم الذي لايدرك . وقال رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : لاتخف من الحساد فإنهم إن كادوك فإن الله تعالى يكيدهم ، ألم تسمع قول الله عز وجل ﴿ **إنهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا * فمهل الكافرين أمهلهم رويدا** ﴾ [1] قال : ورأى بعض العارفين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا في مكان ، فدخل عليه الشيخ أبو المواهب فقام صلى الله عليه وسلم فقص ذلك على سيدي أبوالمواهب فقال له : أكتم يافلان مامعك ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم هو روح الوجود ، وماقام لأحد إلا قام له الوجود كله . وقال رضي الله عنه : من أراد أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم فليكثر من ذكره ليلا ونهارا مع

[1] الآيات : ١٥-١٧ الطارق

محبته في السادة الأولياء ، وإلا فباب الرؤيا عنه مسدود ، لأنهم سادات الناس وربهم يغضب لغضبهم وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يغضب لغضبهم . وقال رضي الله عنه : التسليم للقوم أسلم والإعتقاد فيهم أغنم ، فكم استغنى بصحبتهم فقير ، وجبر كسير ، وارتفع وضيع ، وستر شنيع ، ومات غوى ، وهلك ظالم ، ورفعت مظالم ، وفيهم ورد الحديث ( بهم ترزقون وتنصرون وترحمون ) قلت : ويؤيد ماقاله هنا قول سيدنا الإمام الجواد ، غوث البلاد والعباد ، عبدالله بن علوي بن محمد الحداد شعراً :

أولئك وراث النبي أبـــــرزوا   لفضل رسول الله في خير أمة
بهم يرفع الله البلاياويكشف الـ   ـرزايا ويسدي كل خير و نعمة
ولولاهم بين الأنام لدكـــــدكت   جبال وأرض لإرتكاب الخطيئة

وقال أبوالمواهب : إحذروا من قولكم : ذهب الأكابر والصادقون من الفقراء ، فإنهم ماذهبوا حقيقة وإنماهم ككنز صاحب الجدار ، ووالله تعالى من جاء في آخر الزمان ماحجبه عن أهل العصر الأول ، فإن الله تعالى قد أعطى سيدنا وحبيبنا محمدا صلى الله عليه وسلم مالم يعطي الأنبياء قبله ، ثم قدمه في المدح عليهم ، ويالله العجب من كثير من المتفقهة ينكرون ما أجمع عليه الأولياء ويعتمدون ماوصل إليهم على لسان فقيه واحد ، وربما يكون إستناده في ذلك القول إلى دليل قياسي ضعيف ، أوإلى شذوذ من القول ، ماذاك والله إلا لغلبة الحرمان ، ثم مع إنكاره إذا أصابه هم أومصيبة يأتي إلى قبورهم فيحملهم ويتوسل بهم دون الفقيه الذي صدق قوله وقدمه عليهم وكان الأمر بالعكس ، فإياك ياأخي ان تحرم

إحترام أصحاب الوقت فتستوجب المقت ، فإن من أنكر على أهل زمانه حرم بركة أوانه . وقال : إذا رأيت نفسك معرضة عن مودة أهل الله تعالى فاعلم انك مطرود عن بابه . وقال : إذا رأيت من رزق العلوم ، وفتح له خزائن الفهوم ، فلاتحاجه بنقل الطروس ، ولاتجادله بعزة النفوس ، وتقول هذا لم نجده في الأسفار ، عن أحد من الأخيار ، فإن المواهب تفوق المكاسب . وقال : من أنكر مالم يجد حرم بركة ماوجد ، ومن كان كثير التنكير فهو فاقد التنوير . وقال : نال الجميل من الرجل الجليل .

وقال سيدي الشريف علي بن محمد وفا رضي الله عنه في قول الله تعالى ﴿ **والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ [1] فيا صاحب الحق لاتهتم بإظهار شأنك إهتماما يحملك على الإستعانة بالخلق ، فإنك إن كنت على نور حق فهو يظهر بالله ، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ، وإن كنت على ظلمة باطل فلا تتسبب في إظهار ذلك وإشاعته ، فإنك لاتمتع إن متعت به إلا قليلا ، ثم الله أشد بأساوأشد تنكيلا ، أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدي فمالكم كيف تحكمون ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه ، فافهم . وقال : لايسود أحد قط في قوم إلا إن آثرهم ولم يشاركهم فيما يستأثرون في كل مقام بحسبه ، فافهم . وقال : لاتغتب أخاك بما أصابه من مصائب دنياك فإنه في ذلك أما مظلوم فينصره الله تعالى ، أومذنب عوقب فطهره الله ، أومبتلى قد وقع أجره على الله . فافهم . وقال : إذا وجدت من يدعو إلى الله فأجبه ، ولايصدنك كونه

[1] الآية : ٨ الصف

من الطائفة انتميت إلى غيرها ، فمثل ذلك ضد الأشقياء قبلك ، فقال اليهود : لوجاء محمد منا لأتبعناه ، لكن جاء من العرب أفنتبعه وندع بني إسرائيل ؟ فكان الجن أعقل وأفقه منهم حيث قالوا : ﴿ **ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به** ﴾ [١] الآية . واعلم إن الحقيقة الداعية إلى الله في كل دور هو صاحب وقته ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة** ﴾ [٢] وكل من الدعاة في زمنه إنما هم دقائقه ، وألسنة أنا ومن اتبعني ، وعلامته إندراج بياناتهم وكشوفاتهم في كشفه وبيانه واختصاصه عنهم بما لاسبيل لهم إليه إلا بإمداده وفيضه فافهم . وقال : كلما أرضى العارف بالله أرضى معروفه ، وكلما أغضبه أغضب معروفه كما جاء في الحديث ( إن الله يرضى لرضا عمر ويغضب لغضبه ) وجاء مثل ذلك في حق فاطمة وبلال وعلي وسلمان وخبيب ، فاعلموا أيها المريدون على أن يرضى ربكم عنكم برضاء العارفين ، وانبسطوا إن أردتم رضا ربكم ، وبسطه نعمه عليكم واحذروا ، فإن العكس في العكس من ذلك ، واسألوا الله توفيقكم لذلك . وقال : صلاة تنتج الدعوى رعونة ، ونوم ينتج ...... معونة ، فافهم . وقال : من استضعف لإيمانه فعاقبته التمكين وعلو الشأن ، ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين** ﴾ [٣] ومن كبر

---

[١] الآية : ٣١ الأحقاف

[٢] الآية : ١٠٨ يوسف

[٣] الآية ٥ القصص

بإجرامه أمره إلى صغار ﴿ **سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد** ﴾[٤] الآية . ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين** ﴾[١]

وفي نصائح مولانا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد ، للقلوب والأجساد نفعنا الله به آمين : وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إن الرحمة لاتنزل على قوم فيهم قاطع رحم ) ثم قال مولانا الحبيب عبد الله : فإذا كانت الرحمة لاتنزل على القوم بسبب كون قاطع الرحم فيهم فكيف يكون حال القاطع نفسه . رجعنا إلى كلام سيدي علي وفا ، وقال نفع الله به : قال رضي الله عنه : لكل زمان واحد لامثل له في علمه وحكمته من أهل زمانه ولسانه ، هذا الواحد في زمانه يقول لتلامذته : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، لأنهم أخذوا عن إمام لم يتقدمه مثله ، ولم يعاصره نظيره ، وأن للمأموم حكم إمامه ، فإن قال لهم ذلك بلسانه فذلك منه حق وصدق ، وإن قال ذلك وليس هو من أهل ذلك المقام كذبه المحال فيما قال ، والحق أحق أن يتبع فافهم . وقال : من أراد أن ينقاد له العالم فلا يطلب إلا الله سبحانه وتعالى ، وذلك أن الإنسان المخلوق على صورة الكمال يطلب جميع المخلوقات كما يطلبونه لأنه نائبه في الكون فافهم

---

[٤] الآية : ١٢٤ الأنعام

[١] الآية : ١٤٦ الأعراف

. وقال : نية القربات تصير العادات والمباحات عبادات ، حتى إنك ترى الجبة الصوف على أهل الله تعالى أجمل من الحرير على غيرهم ، وذلك لأنهم قصدوا بذلك وجه الله سبحانه وتعالى ، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا .

******

{ فائدة } قال الإمام النحوي خالد بن عبدالله الأزهري في كتابه المسمى ( التصريح ) في شرح أوضح المسالك لابن هشام الأنصاري الذي نثر فيه منظوم ألفية ابن مالك ، ونعم ماهنالك ، قال من مجموع أصل وشرح : وقد توصل إل بمضارع إختيارا كقوله وهو الفرزدق مخاطبا لرجل من بني عذرة هجاه بحضرة عبدالملك بن مروان :

ماأنت بالحكم الترضى حكومته          ولاالأصيل ولاذي الرأي والجدل

فأدخل إل على ترضى ، وهو فعل مضارع مبني للمفعول ، وحكومته نائب الفاعل به ، ولايختص ذلك عند ابن مالك بالضرورة بل أشار إلى قلته بقوله في النظم ( وكونها من معرب الأفعال ) قل وهو إختيار ثالث في المسألة ، فإن بعض الكوفيين يجيزونه إختيارا والجمهور يمنعونه ويخصونه بالضرورة ، فالقول بالجواز على قلته قول ثالث والمدرك مختلف ، فابن مالك يرى أن الضرورة مايضطر إليه الشاعر ولم يجد عنه مخلصا ، ولهذا قال لتمكنه من أن يقول المضري ، والجمهور يرون أن الضرورة ماجاء في النظم ولم يجئ في الكلام النثر سواء إضطر إليه الشاعر أم لا ، فلم تتوارد على محل واحد ، والحكم بفتحتين : المحكم بين الخصمين للفصل بينهما ، والأصيل الحسيب ، والجدل بفتحتين شدة الخصومة .

*******

( فائدة ) من طبقات المناوي : قال الشيخ محمد بن علي بن جعفر الكتاني : رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فقلت : أدع الله أن لايميت قلبي فقال : قل ياحي ياقيوم لاإله إلا أنت ، وقال : كان في رأسي وجع فرأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال : أُكتب هذا الدعاء ( اللّهم بثبوت الربوبية ، وبعظيم الصمدانية ، وبسطوات الإلهية ، وبقدم الجبروتية ، وبقدرة الوحدانية ) قال : فكتبته وجعلته على رأسي فسكن حالا .

وقال الشيخ محمد بن ابراهيم الزجاج النيسابوري : مما جربناه لرد الضالة : اللّهم ياجامع الناس ليوم لاريب فيه ، إجمع عليّ ضالتي ، وتقرأ قبله سورة والضحى ثلاثا .

**( فائدة )** قال ابن خلّكان في تاريخه : المديني بفتح الميم وكسر الدال وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، هذه النسبة إلى مدينة أصبهان ، ثم قال : وقد ذكر الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الأنساب : هذه النسبة إلى عدة مدن ، أولهن : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والثانية : مرو ، والثالثة : نيسابور ، والرابعة : أصبهان ، والخامسة : مدينة المبارك بقزوين ، والسادسة : بخارى ، والسابعة : سمر ، والثامنة : نسف . وذكر أن النسبة إلى هذه المدن كلها مديني . وقال أكثر مانسب إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم المدني .

******

{ فائدة } قال الأزهري في شرح الأوضح عند قول بعضهم شعراً :

دريت الوفي العهد ياعرف فاغتبط       فإن إغتباطاً بالوفاء حميد

دريت مبني للمفعول ، والتاء مفعوله الأول في موضع رفع على النيابة عن الفاعل ، والوفي مفعوله الثاني وهو صفة مشبهة ، والعهد بالرفع على الفاعلية وبالنصب على التثنية بالمفعول به وبالجر على الإضافة ، وعرف منادى مرخم بحذف التاء ، وفاغتبط جواب شرط مقدّر ، أي إن دريته فاغتبط من الغبطة ، وهي أن يتمنى مثل حال المغبوط من غير أن يريد زوالها ، فإن أراد زوالها كان حاسدا .

*******

( فائدة ) ذكر الشيخ جمال الدين محمد بن طلحة الدمشقي الشافعي في كتابه ( العقد الفريد ) عقيدة مشتملة على معتقد أهل السنة الذين هم صفوة أهل التوحيد وهي هذه وسماها ( مفتاح الفلاح في إعتقاد أهل الصلاح ) وهي : إن الله سبحانه وتعالى واحد لاشريك له ، فرد ولا مثل له ، صمد ولاندله ، ولايغيره الأمد ، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، منزه عن الجسمية ليس كمثله شيء ولايشبهه شيء ، مستو على العرش كما قال ، وبالمعنى الذي أراد ، والسموات والأرض والعرش والكرسي في قبض قدرته ، وهو فوق كل شيء فوقية لاتزيده بعداً عن عباده ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد ، وهو معكم أينما كنتم ، لايشابه قربه قرب الأجسام ، كما لايشبه ذاته ذات الأجسام ، منزه عن أن يحده زمان ، مقدس عن أن يحيط به مكان ، تراه أبصار الأبرار في دار القرار على مادلت عليه الأخبار والآثار ، قادر جبار قاهر ، لايعتريه عجز ولاقصور ، ولاتأخذه سنة ولانوم ، له الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لاتحصى مقدوراته ولاتتناهى معلوماته ، عالم بجميع المعلومات ، لايعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولافي السموات ، يعلم السر وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر ، مدبر الحادثات مريد الكائنات ، لايجري في ملكه قليل ولاكثير جليل ولاحقير خير أوشر ، نفع أوضر ، إلابقضائه وقدره وحكمه ومشيئته ، فما شاء كان ومالم يشاء لم يكن ، فهو المبدئ المعيد ، الفعال لمايريد ، لامعقب لحكمه ، ولاراد لقضائه ، ولامهرب لعبد عن معصية إلا بتوفيقه ورحمته ، ولاقوة له على

طاعته إلا بمحبته وإرادته ، لو إجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أويسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا ، سميع بصير متكلم بكلام لايشبه كلام خلقه ، والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله والقرآن الكريم مقروء بالألسنة ، مكتوب في المصاحف ، محفوظ في القلوب ، وكلما سواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته ، فهو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ، حكيم في أفعاله ، عادل في قضائه ، منزه عن الظلم ، فإنه لايتصرف في ملك غيره ليكون تصرفه فيه ظلما ، متفضل بالإيجاد ، متطول بالإنعام ، لاعن وجوب وحاجة ، لو صب العذاب على العباد لكان منه عدلا ، وإثابته لعباده على الطاعات محض كرم ، لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ، بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات ، فبلغوا أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، فوجب على الخلق تصديقهم بما جاءوا به .

ثم بعد إعتقاد كلمة التوحيد على ماذكرناه يجب التلفظ بالشهادتين بأن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله ، بعثه برسالته إلى الخلائق كافة ، وجعله خاتم الأنبياء ، ونسخ بشريعته الشرائع ، وجعله سيد البشر ، والشفيع المشفع في المحشر ، أوجب على الخلق تصديقه فيما أخبربه من أمور الدنيا والآخرة ، فلا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبربه بعد الموت ، من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له : من ربك ومادينك ومن نبيك ، ونؤمن بعذاب القبر فإنه حق ، وأن الميزان حق ، وأن الموت حق ، وأن الله تعالى يدخل من يشاء الجنة بغير حساب وهم

المقربون ، وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الإنتقام حتى لايبقى في جهنم من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، ونؤمن بشفاعة الأنبياء ، ثم شفاعة العلماء ، ثم شفاعة الشهداء ، وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم ، وأن يحسن الظن بجميع الصحابة على ماوردت به الأخبار وشهدت به الآثار ، فمن إعتقد ذلك مؤمنا فهو من أهل الحق والسنة ، مفارق لعصابة أهل الضلال والبدعة . تمت العقيدة .

ثم قال الشيخ : فهذه العقيدة قد اشتملت على أحد أركان الإسلام الخمسة ، وبقية الأربعة الأخرى فلابد من التعرض لها ، وأن الإسلام بني على قواعد خمس على مايصدق الحديث النبوي ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج وصوم رمضان ، فهذا لفظ الحديث المتفق على صحته ، والركن الأول هو التوحيد ومايتعلق به ، والعقيدة كافية فيه ، الركن الثاني : الصلاة ولابد من التعرض للطهارة قبلها فإنها شرط ، فنقول : الطهارة تنقسم إلى قسمين ، طهارة من الخبث وهو النجاسة وطهارة من الحدث وهو ماينقض الوضوء ويمنع من الصلاة ، ولاتحصل الطهارة إلا بالماء المطلق ، والنجاسة سواء كانت على البدن أوعلى الثوب يجب إزالتها ويجب الإحتراز من مقاربة النجاسة ، خصوصا من البول عند قضاء حاجة الإنسان ، ويجب الإستنجاء من البول والغائط ، وهو بالماء أفضل منه بالحجر ، وأماطهارة الحدث فتنقسم إلى وضوء وغسل ، فأما الوضوء فهو أن يبدأ بالتسمية وغسل الكفين ، وينوي رفع الحدث أو إستباحة الصلاة

، ويستصحب النية ويتمضمض ويستنشق ويغسل وجهه ثم يديه مع المرفقين ، ويطوّل الغرة فوق المرفقين ، ثم يمسح رأسه يبدأ بمقدم رأسه ثم يمسح أذنيه ظاهراً وباطنا ، ثم يغسل رجليه مع الكعبين ويطول الغرة فوق الكعب ، ويبدأ باليمين ويخلل بين أصابعه ، ويفعل ذلك ثلاثا ثلاثا .

والوضوء مشتمل على فروض وسنن ، فأما الفروض : فالنية عند غسل الوجه وغسل اليدين مع المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيب ، وأما السنن فما عدى ذلك ، والبدأة باليمنى من السنن لامن الفروض ، وكذلك الأذكار وتفصيلها أن يقول مع المضمضة : اللّهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وعند الإستنشاق : اللّهم أرحني رائحة الجنة ، ويقول عند غسل الوجه : اللّهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه أوليائك بنورك ، ولاتسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك . وعند غسل اليد اليمنى : اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسرا ، وعند غسل اليد اليسرى : اللهم إني أعوذبك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري ، وعند مسح الرأس تقول : اللهم ظلني تحت ظل عرشك يوم لاظل إلا ظلك ، وتقول عند مسح الأذنين : اللهم اجعلني ممن يستمع القول فيتبع أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنة في الجنة مع الأبرار . وإن مسح رقبته كان حسناً ويقول : اللهم فك رقبتي من النار وأعوذبك من السلاسل والأغلال . ويقول عند غسل الرجل اليمنى : اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل أقدام المنافقين . وإذا فرغ من الوضوء رفع رأسه إلى السماء ويقول : اشهد ان لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من

المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صبورا شكورا .
قال الشيخ : فهذه الإشارة المختصرة تغني في حصول المقصود من الوضوء ومعرفته ، وحيث ظهرت فرائضه وسننه فلابد من شرح ماينقض به ، وتلخيص الكلام فيه : أن الوضوء ينقض بأربعة أسباب ، الأول : ماخرج من أحد السبيلين كيف كان ، الثاني : زوال العقل إلا بالنوم قاعدا ممكنا ، الثالث : لمس بشرة المرأة ( الأجنبية ) بشيء من بشرته ، الرابع : مس الفرج من الآدمي ببطن الكف ، ولاينقض الوضوء بالفصد ولابالرعاف ولابالحجامة ولابالشك في الحدث بعد تيقن الطهارة ، ومن إنتقض وضوءه لايجوز له أن يصلي ولايحمل المصحف وأن لايمسه .

وأما الغسل من الجنابة فأول مانعتمده أن يغسل فرجه من أذى إن كان عليه ، ثم يتوضاء وضوءه للصلاة ، ثم ينوي الغسل للجنابة أو إستباحة الصلاة ، ويبتدئ بجانب رأسه الأيمن فيفيض عليه الماء ، ثم الجانب الأيسر ، ثم على وسطه ، ويخلل أصول شعره ، ثم يصب الماء على جسده كله ويدلك مايصل إليه يده من بدنه ، ويكرره ثلاث مرات ويقول إذا أتم الطهر: اللهم طهرني من الذنوب كما طهرتني من الحدث . والغسل يشتمل على فرض وسنة ، فأما الفرض بعد النية فإيصال الماء إلى جميع الشعر والبشر والباقي سنن . فقد إستقصينا تفصيل ذلك في المختصر المسمى ( إمتثال الإشارة في أعمال الطهارة ) وفي ذلك غنية عن الإطالة وبسط العبارة ، والغسل تارة يكون واجبا كماذكرناه ، وتارة يكون سنة ، فإذا كان واجبا على ماشرحناه بالجنابة كان أثره في إزالة ماحرم على الجنب ، فإنه قبل أن يغتسل يحرم عليه أن يصلي وأن يقرأ وأن يحمل المصحف

وأن يمسه وأن يلبث في المسجد ، فإذا إغتسل جاز له ذلك كله . وأما السنة فهو غسل الجمعة وغسل العيدين ومافي معناهما من غسل الكسوف والإستسقاء والغسل من غسل الميت وغسل الكافر إذا أسلم ، إلى غير ذلك من السنن ، وأثرها حصول الثواب لفاعلها من غير عقاب على تاركها .

ثم قال الشيخ : خاتمة قد تدعو الحاجة في بعض الأحوال إلى لبس الخف والمسح عليه بدلا عن غسل الرجلين ، فلاغنى إلى شيء من أحكامه ، فإن كان في الإقامة فمدته يوم وليلة ، وإن كان في السفر المجوز لقصر الصلاة فثلاثة أيام بلياليهن ، وأول المدة من وقت الحدث بعد لبس الخف ، ويشترط لجواز المسح أن يكون الخف ساترا لمحل الفرض من الرجل ، وأن يمكن تتابع المشي عليه ، وقد لبسه على طهارة كاملة ، والشك في إنتهاء المدة أو في إبتدائها في السفر أو في الحضر يوجب غسل الرجلين ، وإذا خلع الخف وهو على طهارة المسح كفاه غسل رجليه ولايحتاج إلى إعادة الوضوء على الأصح ، ويكفي مسح القليل من أعلاه دون أسفله .

قال الشيخ : هذا مايتعلق بالطهارة ، وقدمنا ذكرها لكون الصلاة تتوقف عليها ، فإن الطهارة مفتاح الصلاة على مانطق به الحديث النبوي ، وقد تعين القول في الصلاة وأحكامها . والصلاة المكتوبة في اليوم والليلة خمس ، وقد بين جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقاتها ، فأول الوقت أفضل من آخره ، وأول وقت الظهر إذا زالت الشمس عن وسط السماء ، وآخره إذا صار ظل كل شيء مثله ، وأول

وقت العصر إذا زاد الظل عن آخر وقت الظهر أدنى زيادة وآخره إلى غروب الشمس ، وأول وقت المغرب غروب الشمس ويمتد إذا شرع فيها إلى تمامها ولو إلى غروب الشفق الأحمر ، وأول وقت العشاء غروب الشفق الأحمر ويمتد إلى طلوع الفجر الثاني ، وأول وقت الصبح طلوع الفجر الصادق ويمتد إلى طلوع الشمس . والصلاة إذا وقعت في وقتها المذكور لها كانت أداء في أوله أوفي آخره ، لكن أوله للفضيلة وآخره للجواز ، وإن وقعت خارجا كانت قضاء . ولابد في صحة الصلاة من ستر العورة ، وعورة الرجل من بين سرته وركبتيه وكذا عورة المرأة المملوكة ، وأما الحرة فجميع بدنها عورة سوى الوجه والكفين . وكذا لابد من إستقبال القبلة إلا في النافلة في السفر وفي المحاربة إذا اشتد القتال . وفي الصلاة فروض وسنن ، فإن ترك شيئا من فروضها بطلت صلاته ، وإن ترك شيئا من سننها فلا تبطل .

والفروض هي : النية وتكبيرة الإحرام والقيام وقراءة الفاتحة والركوع والرفع من الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين والطمأنينة في هذه الأربعة والجلوس في آخر الصلاة والتشهد فيه ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليمة الأولى ونية الخروج على قول ، وترتيبها على الوجه المذكور ، وماعدى ذلك الفروض فسنن . ولايجوز ترك الصلاة ، ولايعذر المريض بل إذا عجز عن القيام صلّى قاعدا ، وإن عجز عن القعود فعلى جنبه أومستلقيا على قفاه على اختلاف فيه ، ولايتركها مادام عقله ثابتا ، فقد ورد فيه أحاديث كثيرة خصوصا في صلاة الجمعة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم شدد في أمرها ودعا على تاركها ، وتلخيص مانقله

الأئمة في ذلك : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ( من تركها وله إمام جائر أوعادل استخفافا بها أوجحودا لوجوبها ألا لاجمع الله شمله ولابارك له في أمره ، ألا لا صلاة له ، ألا لا زكاة له ، ألالاصوم له ، ألالاحج له إلا أن يتوب فيتوب الله عليه ) .

ثم قال الشيخ : الركن الثالث من أركان الإسلام الزكاة ، فمن جحد وجوبها فقد كفر ، ويجب على من وجبت عليه إخراجها من ماله وصرفها إلى مستحقيها ، وقد بين الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة في قوله تعالى ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل** ﴾ [1] فمن إمتنع من إخرجها أخذها منه السلطان وصرفها إلى أهلها المستحقين لها ، ولاتجب إلا في نصاب كامل بعد حولان الحول ، ونصاب الذهب عشرون مثقالا وزكاته نصف مثقال ، ونصاب الفضة مائتا درهم وزكاتها خمسة دراهم ، وفيمازاد بحسابه وهو ربع العشر ، ويستحب الإكثار من الصدقة تطوعا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( المؤمن تحت ظل صدقته يوم القيامة ) وقد وعد الله سبحانه وتعالى على الصدقة ثوابا عظيما .

ثم قال الشيخ : تنبيه ، من جملة الواجب من أنواع الزكاة زكاة الفطر وهي صدقة النفس ، وتجب بغروب الشمس ليلة العيد على قول ، وبطلوع فجره على قول ، ويجب إخراجها يوم العيد ، وتعجيلها في جميع

---

[1] الآية : ٦٠ التوبة

شهر رمضان ، وهي صاع من غالب قوت البلد، والصاع خمسة أرطال وثلث بالبغدادي .

ثم قال الشيخ : الركن الرابع صوم شهر رمضان ، والصوم فضله عظيم وثوابه جسيم ، وهو مع عظم ثوابه وفضيلته لايرجح على الصلاة بل أفضل عبادات البدن الصلاة ، وقد استقصينا القول في ذلك المصنف المسمى بـ( تحصيل المرام في تفضيل الصلاة على الصيام ) والصوم ينقسم إلى فرض ونفل ، فأما الفرض فصوم شهر رمضان ويثبت شهادة رمضان بشهادة عدل واحد ، وإن غم كمل شعبان ثلاثين ، ويشترط في صحة صوم رمضان وفي كل صوم واجب كالقضاء والنذر تبييت النية من الليل ، وفي القضاء ينوي به أن يصوم قضاء ، وينوي في النذر أنه يصوم النذر ، وينوي كل ليلة أن يصوم غدا فريضة رمضان ، ويجب الإحتراز عن المفطرات كالأكل والشرب والإحتقان ومافي معناها ، وليس الإكتحال والفصد والإحتجام من المفطرات ، ولامالا يدخل في الحلق عن غير قصد كغبار الطريق والذبابة ، ولاإذا أكل أوشرب ناسيا ، ويستحب أن يعجل إذا غربت الشمس يفطر على ماء أوتمر ، وأن ينزه صومه عن كلما ورد النهي عنه من الغيبة والشتم والأذى ، وأن يقول عند الإفطار : اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك ، ويجتهد في كثرة فعل الخيرات والصدقات في رمضان ، وأن يفطر الصائمين على طعامه فقد ورد في هذه الأسباب كلها أخبار وآثار .

وأما النفل وكل الأيام سوى شهر رمضان والأيام المنهي عن صومها محل لصوم النفل ، وبعضها أشرف من بعض ، ولايشترط في صحته أن

يكون بنية من الليل ، ومن الأيام التي لها فضل الإختصاص بصيامها نفلا : يوم عرفه ، ويوم عاشوراء ، ومن شوال ستة أيام بعد العيد لوداع رمضان .

ثم قال الشيخ : الركن الخامس الحج ، وهو من جملة القواعد الإسلامية ، ولوجوبه وأحكامه أسباب وشروط ، ولما لم يكن من مقاصد الكتاب لم يتعرض لشرحها . ثم قال الشيخ : وهذا تلخيص مادعت الحكمة الداعية إلى تأليف هذا الكتاب إلى بيان مالابد من ذكره في ذلك ، وبتمامه نحرز مارمنا بيانه في باب الفقه ولوازمه . إنتهت الفائدة بكمالها المذكور أولا وبالله التوفيق .

*********

**{ فائدة }** من كتاب العقد الفريد ، قال سيدنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه : في المشورة سبع خصال : إستنباط الصواب ، واكتساب الرأي ، وتحصن من السقطة ، وحرز من الملامة ، ونجاة من الندامة ، وألفة للقلوب ، واتباع للأثر . ثم قال الشيخ في الكتاب المذكور : وقديما سبعة لاينبغي أن يشاورهم : جاهل ، وعدو ، وحسود ، ومرائي ، وجبان ، وبخيل ، وذو هوى . فإن الجاهل مضل ، والعدو يريد الهلاك ، والحسود يتمنى زوال النعمة ، والمرائي واقف مع رضاء الناس ، والجبان من رأيه الهرب ، والبخيل حريص على جمع المال فلارأي له ، وذو الهوى أسير هواه فهو لايقدر على مخالفته .

وفي الكتاب المذكور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قتل طلحة ابن عبيدالله رضي الله عنه وقد وقعت تلك الواقعة المشهورة ، خرج علي رضي الله عنه وكرم وجهه راكبا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والكراهة تبين في وجهه وقال : رحم الله عمي العباس كأنما كان يطلع على الغيب من وراء ستر رقيق ، صدق والله مانلت من هذا الأمر شيئا إلا بعد شر لاخير معه ، فقلت ياأمير المؤمنين لوقبلت مشورته لاسترحت ، قال : وكان أمرالله قدراً مقدورا ، قال ابن عباس فسألني بعض أصحابه عن مشورة العباس فقلت : قعد العباس وعلي رضي الله عنهما في أيام عثمان فقال لعلي : يابن أخي كنت أشرت عليك بأشياء ولم تقبل مني فرأيت في عاقبتها ماذهب ، وهاأنا الآن أشير عليك لما اشتد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرتك أن تسأله إن كان الأمر فينا أعطيناه ، وإن كان في غيرنا أوصى بنا ، فقلت : إن منعناه لم يعطناه أحد بعده ،

فمضت تلك ، ثم لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أبو سفيان بن حرب تلك الساعة فدعوناك فقلت لك : أبسط يدك لنبايعك فإنا إن بايعناك لم يختلف عليك منافي ، وإن بايعتك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قريش ، وإن بايعتك قريش لم يختلف عليك العرب ، فقلت في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم شغل ولم يفت الأمر، فلم نلبث حتى سمعنا التكبير من السقيفة فقلت ماهذا ياعم ؟ فقلت لك مادعوناك إليه ، ثم لماطعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أشرت عليك أن لاتدخل نفسك في الشورى فإنك إن اعتزلتهم قدموك ، وإن ساويتهم لم يقدموك ، فدخلت معهم فكان مارأيت ، هاأنا أقول لك الآن : أرى هذا الرجل عثمان رضي الله عنه يأخذ في أمور ولكأني بالعرب قد سارت حتى تنحر كما نحر الجزور ، والله لئن كان ذلك وأنت حاضر بالمدينة ليرمينك الناس بدمه ، وإن فعلوا لاتنال من هذا الأمر شيئا إلا بشر لاخير معه ، فهذا كان رأي العباس ومشورته ، ولكن حاجز القدر منع من العمل بهذه المشورة ليقضي الله أمرا كان مفعولا .

**( فائدة )** ثبت في صحيح مسلم أن بعض الصحابة رضي الله عنهم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر جنيب ، أي جيد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكل تمر جنيب هكذا ! قال : لا والله يارسول الله إنا لنشتري الصاع بالصاعين من الجميع ، أي الردي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتفعلوا ولكن مثلا بمثل ، أوبيعوا هذا واشتروا بثمنه من هذا وكذلك الميزان .

قال الإمام محي الدين النووي في شرح صحيح مسلم : واحتج بهذا الحديث أصحابنا وموافقوهم في أن مسألة العينة ليست بحرام ، وهي الحيلة التي يعملها بعض الناس توصلا إلى مقصود الربا ، بأن يريد أن يعطيه مائة درهم بمائتين فيبيعه ثوبا بمائتين ثم يشتريه منه بمائة ، وموضع الدلالة من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بيعوا هذا واشتروا بثمنه من هذا ولم يفرق بين أن يشتري من المشتري أو من غيره ، فدل على أنه لافرق ، وهذا كله ليس بحرام عند الإمام الشافعي وآخرين . وقال مالك واحمد : هو حرام ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم وكذلك الميزان ، فيستدل به الحنفية لأنه ذكر في هذا الحديث الكيل والميزان ، وأجاب أصحابنا وموافقوهم بأن معناه وكذلك الميزان لايجوز التفاضل فيه فيما كان ربويا موزونا . إنتهى من شرح صحيح مسلم للإمام النووي رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين .

*******

**{ فائدة }** قال الإمام النووي في تهذيبه : حرم مكة زادها الله شرفا وفضلا ، الحرم من أهم ماينبغي أن يعتني به فإنه تتعلق به أحكام كثيرة ، وقد عنيت بتحقيق حدودها وأوضحته في كتاب الإيضاح في المناسك غاية الإيضاح ، فحد الحرم من طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت نِفار ، بكسر النون والفاء ، وهو على ثلاثة أميال ، وحده من طريق اليمن طرف إضاة لبن ، بكسر اللام وإسكان الباء الموحدة ، على سبعة أميال ، ومن طريق العراق على ثنية جبل المقطع على سبعة أميال أيضا . ثم قال الإمام النووي : قال الأزرقي : سمي جبل المقطع لأنهم قطعوا منه أحجار الكعبة في زمن ابن الزبير ، وقيل لأنهم كانوا في الجاهلية إذا خرجوا من الحرم علقوا رقاب إبلهم من قشور الحرم ، وإن كان رجلا علق رقبته ، فأمنوا به حيث توجهوا ، وقالوا هؤلاء: وقد قال تعالى إعظاما للحرم ، وإذا رجعوا ودخلوا الحرم قطعوا ذلك هناك ، فسمّوا ذلك المقطع . ومن طريق الجعرانه في شعب آل عبدالله بن خالد على تسعة أميال ، عشرة إلا واحد ، ومن طريق الطائف على عرفات من بطن نمرة على سبعة أميال ، عشرة إلا ثلاثة ، ومن طريق جدة منقطع الأعساس على عشرة أميال . هكذا ذكر هذه الحدود أبو الوليد الأزرقي في كتابه ( تاريخ مكة ) وأصحابنا في كتب الفقه ، منهم أبوإسحاق في المهذب في باب عقد الذمة ، وكذا صاحب الحاوي في الأحكام السلطانية إلا أنهما لم يذكرا حده من طريق اليمن . وذكر الأزرقي والجماهير وانفرد الأزرقي وقال : في حده من طريق الطائف أحدى عشر ميلا ، قال الجمهور : سبعة كما قدمناه وهي سبعة عشر إلا ثلاثة ، فاعتبر مالخصته من حد الحرم الكريم ، فما

أظنك تجده أوضح من هذا . قال الأزرقي في أنصاب الحرم على رأس الثنية ما كان من وجهها في هذا الشق فهو حرم ، وماكان في ظهرها فهو حل ، وقال : بعض الاعساس في الحل وبعضها في الحرم ، ذكره في آخر الكتاب .

قال النووي : وأما حرم المدينة ثبت ماله في الصحيح ففيه أكمل مقنع وأبلغ كفاية ، وروينا في صحيح البخاري ومسلم عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( المدينة حرم مابين عير وثور ) وهكذا هو في الصحيحين وغيرهما ، عير إلى ثور ، وعير بفتح العين المهملة وإسكان المثناة تحت . ثم قال أبوعبيد القاسم ابن سلام وغيره من العلماء : عير جبل بالمدينة ، وأما ثور فجبل لايعرف أهل المدينة لها جبل يقال له ثور ، قالوا فترى أن أصل الحديث مابين عير إلى أحد ، وقال البخاري إن الرواية الصحيحة مابين عير إلى أحد وقيل إلى ثور . وثبت في الصحيحين من روايات جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم رفعوه مابين لابتيها حرام ، وفي رواية مسلم : مابين مأزميها ، واللابة والمأزم معروفات مذكورات في هذا الكتاب في موضعهما .

قال الماوردي : اختلف الناس في مكة وماحولها هل صارت حرما وأمنا بسؤال إبراهيم صلى الله عليه وسلم أم كانت قبله ؟ كذلك على قولين أحدهما : لم يزل حرما آمنا من الجبابرة ومن الخسوف والزلازل ، وإنما سأل إبراهيم صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه وتعالى أن يجعله آمنا من الجدب والقحط ، وأن يرزق أهله من الثمرات لقوله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ( إن هذا بلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات

والأرض ، وهو حرام بحرمة الله سبحانه وتعالى إلى يوم القيامة ) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الحج بهذا اللفظ من رواية ابن عباس رضي الله عنهما . والقول الثاني ان تحريمها كان بسؤال إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت قبله حلالا لقوله صلى الله عليه وسلم : إن الله حرم مكة وإني حرمت المدينة . رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من رواية أبي هريرة رضي الله عنه .

ثم قال النووي : قال الماوردي : والذي يختص به حرم مكة من الأحكام التي تخالف سائر البلاد خمسة ، أحدها : ان لايدخلها أحد إلا بإحرام بحج أوعمرة ، والثاني : أنه لايحارب أهلها ، فإن بغوا على أهل العدل فقد ذهب بعض إلى تحريم قتالهم ويضيق عليهم حتى يرجعوا عن البغي ويدخلون في أحكام العدل ، والذي عليه أكثر الفقهاء أنهم يقاتلون على بغيهم إذا لم يكن ردهم من البغي إلا بالقتال ، لأن قتال أهل البغي من حقوق الله سبحانه وتعالى لايجوز إضاعتها ، ولأن يكون محفوظا في حرم الله تعالى أولى من أن يكون مضيعا فيه ، والحكم الثالث : تحريم صيده على المحلين والمحرمين من أهل الحرم وممن طرأ عليه الحكم . الرابع : تحريم شجره ، الخامس : أن يمنع جميع من خالف دين الإسلام من دخولها مقيما كان أومارا . هذا مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأكثر الفقهاء ، وجوزه أبوحنيفة إذا لم يستوطنوه .

قال الإمام النووي : هذا آخر كلام الماوردي ، ثم قال : وترك من الأحكام التي يتميز بها الحرم اللقطة ، فإن لقطة الحرم لاتحل إلا لمنشد لا للملك على المذهب الصحيح بخلاف غيره ، وترك أيضاً تحريم إخراج

أحجاره وترابه منه إلى غيره وهو حرام وبيانه مشهور في كتب المذهب ، وترك أيضاً إدخاله من غيره إليه فإنه مكروه ، وترك إختصاص نحو الهدايا ودماء الحج ، وترك وجوب قصده بالنذر بخلاف غيره كمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيت المقدس على أحد القولين فيهما ، وترك أيضاً تغليظ الدية بالقتل فيه ، وترك أيضا تحريم دفن المشرك فيه فإن دفن نبش إن لم يتقطع ، وأنه لايجوز له الإذن في الدخول إليه على أي حال ، وأنه لادم على المتمتع والقارن إذا كانا من أهله ، وأنه لايجوز إحرام المقيم به بالحج خارجه ، وأنه لاتكره فيه صلاة النافلة التي لاسبب لها في أوقات الكراهة تشريفا لها ، وأنه يحرم إستقبال الكعبة واستدبارها بالبول والغائط في الصحراء .

ثم قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : وهذا الذي ذكره الماوردي من أن البغاة إذا امتنعوا في الحرم يقاتلون عند أكثر الفقهاء هو الصحيح ، وقد نص عليه الإمام الشافعي رضي الله عنه في كتابه إختلاف الحديث من كتاب الأم . وقال القفال المروزي في أول كتاب النكاح في ذكر خصائص النبي صلى الله عليه وسلم : ولايجوز القتال بمكة أوتحصن جماعة من الكفار بمكة لايجوز لنا قتالهم فيها ، قال : وهذا الذي قاله فاسد مردود نبهت عليه لئلا يغتربه .

وأما الحديث الصحيح بالنهي عن القتال فيها فمعناه لايجوز نصب القتال وقتالهم بما يعم إذا أمكن إصلاح الحال بدون ذلك ، بخلاف ما إذا تحارب كفار في بلاد أخرى .

قال : وأما حرم المدينة فحده مابين جبليها طولا ومابين لأبتيها عرضا ، ففي الصحيحين عن علي رضي الله عنه ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه ماذكرناه قبل هذا .

وفي المناسك وفي صحيح البخاري وكتاب الدعاء في باب التعوذ من غلبة الدجال ، عن عمر وابن مسعود المطلب ، عن أنس قال : أشرف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة فقال : اللّهم إني أحرم مابين جبليها مثل ماحرم إبراهيم مكة ، رواه مسلم في آخر الحج . ويشترك الحرمان في ذلك .

**( فائدة )** قال محي الدين الإمام النووي في حرف الخاء المنطوقة من الجزء الثاني من تهذيب الأسماء واللغات : واعلم أن الخطب المشروعة ثلاث عشر خطبة : خطبتان للجمعة ، وخطبتان للعيد ، وخطبتان للكسوف ، وخطبتان للإستسقاء ، وخمس خطب في الحج . في اليوم السابع من ذي الحجة بمكة عند الكعبة بعد صلاة الظهر ، وثنتان في عرفات في مسجد إبراهيم صلى الله عليه وسلم بعد الزوال قبل صلاة الظهر ، وخطبة بعد صلاة الظهر بمنى يوم النحر ، وخطبة بمنى في اليوم الثاني من أيام التشريق . وكل هذه الخطب التي في الحج بعد الصلاة إفرادا إلا التي عند عرفات فإنها خطبتان وقبل صلاة الظهر . ثم قال الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية في باب ولاية الحج : جميع الخطب المشروعة بعد الصلاة إلا خطبتي الجمعة واللتين بعرفات . إنتهى .

*******

( فائدة ) منه : الخطابية الطائفة المبتدعة من الرافضة ، نسبوا إلى أبي الخطاب الكوفي قال ابن الصباغ . إنتهت الفائدة .

( فائدة ) قال الإمام محي الدين النووي في تهذيب الأسماء : ومذهب اهل السنة وجمهور أهل اللغة أن الإسم هو المسمى ، مذهب المعتزلة أنه غيره ، وقد يقع على التسمية ، ثم قال : وقد أوضحته في شرح صحيح مسلم في مناقب عائشة رضي الله عنها ، قلت : والإيضاح المذكور في شرح مسلم عند قول سيدتنا عائشة رضي الله عنها : والله يارسول الله ما أهجر إلاإسمك . ونحن نورده بكماله ، قال القاضي : مغاضبة عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم هو مماسبق من الغيرة التي عفي عنها للنساء في كثير من الأحكام كما سبق لعدم إنفكاكهن منها ، حتى قال مالك وغيره من علماء المدينة المنورة : يسقط عنها الحد إذا قذفت زوجها بالفاحشة على جهة الغيرة ، قال : واحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ( ماتدري الغير أعلى الوادي من أسفله ) ولولا ذلك لكان على عائشة رضي الله عنها في ذلك من الحرج مافيه ، لأن الغضب على النبي صلى الله عليه وسلم وهجره كبيرة عظيمة ، ولهذا قالت : لا أهجر إلا إسمك ، فدل على أن قلبها وحبها كما كان ، وإنما الغيرة في النساء لفرط المحبة ، ثم قال الإمام النووي : قال القاضي : واستدل بعضهم بهذا على أن الإسم غير المسمى في المخلوقين ، وأما في حق الله سبحانه وتعالى فالإسم هو المسمى . قال القاضي : هذا كلام من لاتحقيق عنده من معنى المسألة لغة ونظرا ، ولاشك عند القائلين بأن الإسم هو المسمى من أهل السنة وجماهير الخلق لغة ، أومخالفتهم من المعتزلة أن

الإسم قد يقع أحيانا بالتسمية حيث كان في خالق أومخلوق ، ففي حق الخالق تسمية المخلوق له بإسمه ، وفعل المخلوق كذلك بعباراته المخلوقة ، وأما أسماؤه سبحانه وتعالى التي سمى بها نفسه فقديمة ، كما أن ذاته قديمة ، وصفاته قديمة ، وكذلك لايختلفون أن لفظة الإسم إذا تكلم بها المخلوق فتلك لفظة الحروف والأصوات المتقطعة لتفهم منها الإسم أنها غير الذات هي غير التسمية ، وإنما الإسم الذي هو الذات مايفهم منه من خالق أو مخلوق . هذا آخر كلام القاضي .

*******

**( فائدة )** قال الإمام النووي في تهذيبه : قال الإمام الواحدي في قصة يحيى ابن زكريا عليهما السلام في سورة آل عمران في قوله تعالى ﴿ **وسيداً وحصورا** ﴾ [١] يقال : ساد فلان قومه يسودهم سؤددا وسيادة إذا صار رئيسهم . قال الزجاج : السيد المالك الذي يفوق في الخير قومه ، وقال أهل اللغة : السيد المالك الذي تجب طاعته ، ولهذا يقال : سيد الغلام ولايقال سيد الثوب الفرد ، السيد المالك ، والسيد الريئس ، والسيد الحاكم ، والسيد السخي ، والسيد الزوج . ومنه قوله تعالى ﴿ **وألفيا سيدها لدى الباب** ﴾[١] أي زوجها . قال أبو الخير : سمي سيداً لأنه يسود سواد الناس ، أي أعظمهم ، هذا قول أهل اللغة في السيد ، وأما التفسير فقال ابن عباس رضي الله عنهما : والسيد الكريم على ربه عز وجل . وقال قتادة : السيد العابد الورع الحكيم . وقال عكرمة : السيد الذي لايغلبه غضبه .

******

---

[١] الآية ٢٩ 'ل عمران

[١] الآية : ٢٥ يوسف

**{ فائدة }** قال ابن هشام في كتاب المغني : إلا بالكسر والتشديد على أربعة أوجه : أحدها أن تكون للإستثناء نحو ﴿ **فشربوا منه إلا قليلا** ﴾ وانتصاب مابعدها في هذه الآية ونحوها بها على الصحيح ، ونحو ﴿ **مافعلوه إلا قليل منهم** ﴾ وارتفاع مابعدها في هذه الآية ونحوها على أنه بدل بعض من كل عند البصريين ويبعده أنه لاضمير معه في نحو ( ماجاءني أحد إلا زيد ) كما في نحو ( أكلت الرغيف إلا ثلثه ) وأنه مخالف للمبدل منه في النفي والإيجاب ، وعلى أنه معطوف على المستثنى منه و ( إلا ) حرف عطف عند الكوفيين ، وهي عندهم بمنزلة ( لا ) العاطفة في أن ما بعدها مخالف لما قبلها ، لكن ذاك منفي بعد إيجاب ، وهذا موجب بعد نفي ، وردّ بقولهم ( ماقام إلا زيد ) وليس شيء من أحرف العطف يلي العامل ، وقد يجاب بأنه ليس تاليها في التقدير ، إذ الأصل ( ماقام أحد إلا زيد )

الثاني : أن تكون بمنزلة غير فيوصف بها وبتاليها ، وجمع منكر أو شبهه . فمثال الجمع والمنكر ﴿ **لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ فلايجوز في إلا هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى ، إذالتقدير حينئذ لوكان فيهما آلهة ليس فيهم الله لم تفسدا ، وذلك يقتضي بمفهومه أنه لوكان فيهما آلهة فيهم الله لفسدا . وليس ذلك المراد ، ولامن جهة اللفظ ، لأن آلهة جمع منكر في الإثبات فلا عموم له فلا يصح الاستثناء منه ، فلو قلت ( قام رجال إلا زيدا ) لم يصح إتفاقا ، وزعم المبرد أن ( إلا ) في هذه الآية للاستثناء ، وأن مابعدها بدل ، محتجا بأن ( لو ) تدل على الامتناع ،

وامتناع الشيء انتفاؤه ، وزعم أن التفريغ بعدها جائز ، وأن نحو ( لوكان معنا إلا زيد ) أجود كلام ، ويرده أنهم لايقولون ( لوجاءني ديار أكرمته ) ولا ( لوجاءني من أحد أكرمته ) ولو كانت بمنزلة النافي لجاز ذلك كما يجوز ( مافيها ديار ) و ( ماجاءني من أحد ) ولما لم يجز ذلك دل على أن الصواب قول سيبويه إن إلا ومابعدها صفة .

قال الشلوبين وابن الضائع : ولايصح المعنى حتى تكون إلا بمعنى غير ، والتي يراد بها البدل والعوض ، قالا : وهذا هو المعنى في المثال الذي ذكره سيبويه توطئة للمسألة ، وهو ( لوكان معنا رجل إلا زيد لغلبناه ) أي : رجل مكان زيد أوعوضا من زيد . إنتهى .

ثم قال ابن هشام قلت : وليس كما قالا ، بل الوصف في المثال وفي الآية مختلف ، فهو في المثال مخصص مثله في قولك ( جاء رجل موصوف بأنه غير زيد ) وفي الآية مؤكد مثله في قولك ( متعدد موصوف بأنه غير الواحد ) وهكذا الحكم أبداً ، إن طابق مابعد إلا موصوفها فالوصف مخصص له ، وإن خالفه بإفرادٍ أوغيره فالوصف مؤكد ، ولم أر من أفصح عن هذا ، لكن النحويين قالوا : إذا قيل ( له عندي عشرة إلا درهما ) فقد أقر له بتسعة ، فإن قال ( إلا درهم ) فقد أقر له بعشرة ، وسره أن المعنى حينئذ عشرة موصوفة بأنها غير درهم ، وكل عشرة فهي موصوفة بذلك ، الصفة هنا مؤكدة صالحة للاسقاط مثلها في ( نعجة واحدة ) وتتخرج الآية على ذلك ، إذ المعنى حينئذ ﴿ **لوكان فيهما آلهة**

**لفسدتا** ﴾ أي أن الفساد يترتب على تقدير تعدد الآلهة ، وهذا هو المعنى المراد ، ومثال المعروف الشبيه بالمنكر قوله :

أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة قليل بها الأصوات إلا بغامها

فإن تعريف الأصوات تعريف الجنس ومثال شبه الجمع قوله :

لوكان غيري سليمى الدهر غيره وقع الحوادث إلا الصارم الذكر

فإلا الصارم صفة لغيري ، ومقتضى كلام سيبويه أن لايشترط كون الموصوف جمعا أوشبهه لتمثيله بـ ( لوكان معنا رجل إلازيد لغلبنا ) وهو لايجري ( لو ) مجري النفي كما يقول المبرد .

وتفارق إلا هذه غيراً من وجهين ، أحدهما : أنه لايجوز حذف موصوفها ، لايقال ( جاءني إلا زيد ) ويقال ( جاءني غير زيد ) ونظيرها في ذلك الجمل والظروف فإنها تقع صفات ، ولايجوز أن تنوب عن موصوفاتها .

والثاني : أنه لايوصف بها إلا حيث يصح الاستثناء ، فيجوز ( عندي درهم إلا دانق ) لأنه يجوز إلا دانقا ، ويمتنع ( إلا جيد ) لأنه يمتنع إلا جيدا ، ويجوز ( درهم غير جيد ) قاله جماعات ، وقد يقال إنه مخالف لقولهم في { **لوكان فيهما آلهة إلا الله** } الآية ، ولمثال سيبويه ( لوكان معنا رجل إلا زيد لغلبناه . وشرط ابن الحاجب في وقوع إلا صفة تعذر الاستثناء ، وجعل من الشاذ قوله :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

والوصف هنا مخصص لامؤكدة كما بينت من القاعدة .

والثالث : أن تكون عاطفة بمنزلة الواو في التشريك في اللفظ والمعنى ، ذكره الأخفش والفرّاء وأبوعبيدة ، وجعلوا منه قوله تعالى ﴿ **لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم** ﴾[1] ﴿ **لايخاف لديّ المرسلون * إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء** ﴾[2] أي ولاالذين ظلموا ولامن ظلم ، وتأولها الجمهور على الاستثناء المنقطع .

والرابع : أن تكون زائدة ، قاله الأصمعي وابن جني وحملا عليه قوله :

حراجيف ماتنفك إلا مناخة        على الخسف اونرمي بها بلدا قفرا

وابن مالك ( و ) حمل عليه قوله :

أرى الدهرإلا منجنونا بأهله        وماصاحب الحاجات إلا معذبا

وإنما المحفوظ ( ومالدهر ) ثم إن صحت روايته فتخرج على أن ( أرى ) جواب لقسم مقدر ، وحذفت ( لا ) كحذفها في ﴿ **تالله تفتؤ** ﴾ ودل على ذلك الاستثناء المفرغ ، وأما بيت ذي الرمة فقيل : غلط منه ، وقيل : من الرواة ، وإن الرواية ( آلا ) بالتنوين أي شخصا ، وقيل : تنفك تامة بمعنى ماتنفصل عن التعب ، أو ماتخلص منه ، فنفيها نفي ، ومناخة حال ، وقال جماعة كثيرة : هي ناقصة والخبر ( على الخسف ) ومناخة حال ، وهذا فاسد لبقاء الإشكال إذلايقال ( جاء زيد إلا راكبا )

---

[1] الآية : ١٥٠ البقرة

[2] الآيات : ١٠-١١ النمل

ثم قال ابن هشام تنبيه : ليس من أقسام إلا التي في نحو ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله** ﴾ [١] وأنما هذه كلمتان إن الشرطية ولا النافية ، ومن العجب أن ابن مالك على إمامته ذكرها في شرح التسهيل من أقسام إلا .

{ فائدة } منه أيضامسألة : قالت العرب ( قد كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي ) وقالوا أيضا ( فإذا هو إياها ) وهذا هوالوجه الذي أنكره سيبويه لما سأله الكسائي ، وكان من خبرهما أن سيبويه قدم على البرامكة ، فعزم يحيى بن خالد على الجمع بينهما ، فجعل لذلك يوما ، فلما حضر سيبويه تقدم إليه الفراء وخَلَف ، فسأله خلف عن مسألة فأجاب فيها ، فقال له : أخطأت ، ثم سأله ثانية وثالثة وهو يجيبه ويقوله له أخطأت ، فقال له سيبويه هذا سوء أدب ، فأقبل عليه الفراء فقال له : إن في هذا الرجل حِدة وعجلة ، ولكن ماتقول فيمن قال ( هؤلاء أبون ، ومررت بأبين ) كيف تقول على مثال ذلك من وأيت أو أويت ، فأجابه فقال : أعد النظر ، فقال : لست أكلمكما حتى يحضر صاحبكما ، فحضر الكسائي فقال له الكسائي تسألني أوأسألك ؟ فقال له سيبويه : سل أنت ، فسأله عن هذا المثال ، فقال سيبويه ( فإذا هو هي ) ولايجوز النصب ، وسأله عن أمثال ذلك نحو ( خرجت فإذا عبدالله القائم ، أوالقائم ) فقال له : كل ذلك بالرفع ، فقال الكسائي : العرب ترفع كل ذلك وتنصب ، فقال يحيى : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما ، فمن يحكم بينكما ؟

---

[١] الآية : ٤٠ التوبة

فقال له الكسائي : هذه العرب ببابك قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون ويسألون ، فقال يحيى وجعفر : أنصفت ، فأحضروا ، فوافقوا الكسائي ، فاستكان سيبويه ، فأمر له يحيى بعشرة آلاف درهم ، فخرج إلى فارس فأقام بها حتى مات ، ولم يعد إلى البصرة ، فيقال : إن العرب قد أرشوا على ذلك أوإنهم علموا منزلة الكسائي عند الرشيد ، ويقال : إنهم قالوا : القول قول الكسائي ولم ينطقوا بالنصب ، وإن سيبويه قال ليحيى : مرهم أن ينطقوا بذلك فإن ألسنتهم لاتطوع به .

ولقد أحسن الإمام الأديب أبو الحسن حازم بن محمد الأنصاري ( القرطاجني ) إذ قال في منظومته في النحو حاكيا هذه الواقعة والمسألة :

والعرب قد تحذف الأخبار بعدإذا ... إذا عنت فجأة الأمر الذي دهما
وربما نصبوا للحال بعد إذا ... وربما رفعوا من بعدها ربما
فإن توالى ضميران اكتسى بهما ... وجه الحقيقة من إشكاله غمما
لذاك أعيت على الأفهام مسألة ... أهدت إلى سيبويه الحتف والغمما
قد كانت العقرب العوجاء أحسبها ... قدما أشد من الزنبور وقع حما
وفي الجواب عليها هل إذاهو هي ... أو هل إذا هو إياها قد إختصما
وخطأ ابن زياد وابن حمزة في ... ما قال فيها أبابشر وقد ظلما
وغاظ عمراً علي في حكومته ... ياليته لم يكن في أمره حكما
كغيظ عمرو عليا في حكومته ... ياليته لم يكن في أمره حكما
وفجع ابن زياد كل منتخب ... من أهله إذ غدا منه يفيض دما
كفجعة ابن زياد كل منتخب ... من أهله إذ غدا منه يفيض دما
وأصبحت بعده الأنفاس باكية ... في كل طرس كدمع سح وانسجما

وليس يخلو امرء من حاسد أضم لولا التنافس في الدنـيا لما أضما
والغبن في العلم أشجى محنة علمت وابرح الناس شجوا عـــالم هضـما

وقوله { وربما نصبوا ـ إلخ ) أي ربما نصبوا على الحال بعد أن رفعوا مابعد إذا على الابتداء ، فيقولون ( فـإذا زيـد جالسـا ) وقـوله ( ربمـا ) في آخر البيت بالتخفيف توكيد لربما في أوله بالتشديد ، وغمـا في آخـر البيت الثالث بفتح الغين كناية عن الإشكال والخفاء ، وغمما في آخر البيت الرابع بضمها جمع غمة .

وابـن زياد : هـو الفـراء واسمـه يحـيى ، وابـن حمـزة هـو الكسـائي واسمـه علـي ، وبشر سـيبويه واسمـه عمـرو ، وألـف ظلـما للتثنيـة إن بنيتـه للفاعـل ، وللاطـلاق إن بنيتـه للمفعـول ، وعمـرو وعـلي الأولان سـيبويه والكسـائي ، والآخـران : ابـن العـاص وابـن أبي طالـب رضي الله عنـهما ، وحكـما الأول اسم ، والثاني فعل ، أوبالعكس دفعـا للايطـاء ، وزياد الأول والد الفراء ، والثاني زياد بن أبيه وابنه المشار إليه هو ابن مرجانـة المرسـل في قـتلة الحسـين رضي الله عنـه ، وأضم كغضـب وزنا ومعـنى ، وإعجـام الضاد ، والوصف منه أضم كفرح ، وهضم مبني للمفعول أي لم يوف حقـه .

وأما سؤال الفراء فجوابـه أن أبـون جمـع أب ، وأب فعـل بفتحتـين وأصله أبو ، فإذا بنينا مثله من أوى أو من وأى قلنـا أوى كهـوى ، أوقلنـا وأى كهوى أيضا ، ثم تجمعه بالواو والنون فتحذف الألف كما تحـذف ألـف مصطفى ، وتبقى الفتحة دليلا عليها فتقـول : أوون ، أوأوان رفعـا ، وأويـن أووأين ، جرا ونصبا كما تقول في جمع عصا وقفا اسم رجل عصـون وقفـون

وعصين وقفين ، وليس هذا مما يخفى على سيبويه ولاعلى أصاغر الطلبة ولكنه كما قال أبو عثمان المازني : دخلت بغداد فألقيت عليّ مسائل فكنت أجيب فيها على مذهبي ويخطئوني على مذاهبهم . اهـ

واما سؤال الكسائي فجوابه ماقاله سيبويه رحمه الله وهو : وهو ( فإ ذا هو هي ) هذا هو وجه الكلام مثل { **فإذا هي بيضاء** } { **فإذا هي حيةٌ** } وأما ( فإذا هو إياها ) إن ثبت فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء ، كالجزم بلن والنصب بلم والجر بلعل ، وسيبويه وأصحابه لايلتفتون لمثل ذلك وإن تكلم به بعض العرب .

وقد ذكر في توجيهه أمور : أحدها لأبي بكر بن الخياط وهو أن ( إذا ) ظرف فيه معنى وجدت ورأيت ، فجاز له أن ينصب المفعول كما ينصبه وجدت ورأيت ، وهو مع ذلك ظرف يخبر به عن الأسم بعده . إنتهى . وهذا خطأ ، لأن المعاني لاتنصب المفاعيل الصحيحة وإنما تعمل في الظروف والأحوال ، ولأنها تحتاج على زعمه إلى فاعل وإلى مفعول آخر فكان حقها أن تنصب ماليها .

والثاني : أن ضمير النصب استعير في مكان ضمير الرفع قاله ابن مالك ، ويشهد له قراءة الحسن { **إياك تُعبَد** } ببناء الفعل للمفعول ، ولكنه لايتأتى فيما أجازوه من قولك ( فإذا زيد القائم ) بالنصب ، فينبغي أن يوجه هذا على أنه نعت مقطوع أوحال على زيادة أل ، وليس ذلك مما ينقاس ، ومن جوز تعريف الحال وزعم أن إذا تعمل عمل وجدت ، وأنها رفعت عبدالله بناء على أن الظرف يعمل وإن لم يعتمد فقد أخطأ ، لأن

وجد ينصب الاسمين ، ولأن مجيء الحال بلفظ المعرفة قليل وهو قابل للتأويل .

والثالث : أنه مفعول به ، والأصل فإذا هو يساويها أوفإذا هو يشابهها ، ثم حذف الفعل فانفصل الضمير ، وهذا الوجه لابن مالك أيضا ، ونظيره قراءة علي رضي الله عنه { **لئن أكله الذئب ونحن عصبة** }[١] بالنصب أي نوجد عصبة أونرى عصبة ، وأما قوله تعالى { **والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم** }[٢] إذا قيل : إن التقدير يقولون مانعبدهم فإنما حسنه أن إضمارالقول مستسهل عندهم .

والرابع : أنه مفعول مطلق ، والأصل : فإذا هو يلسع لسعتها ، ثم حذف الفعل كما تقول ( مازيد إلا شُرب الإبل ) ثم حذف المضاف ، نقله الشلوبين في حواشي المفصل عن الأعلم ، وقال : هو أشبه ماوجه به النصب .

والخامس : أنه منصوب على الحال من الضمير في الخبر المحذوف ، والأصل : فإذا هو ثابت مثلَها ، ثم حذف المضاف فانفصل الضمير وانتصب في اللفظ على الحال على سبيل النيابة كما قالوا ( قضية ولاأباحسن لها ) على إضمار مثل ، قاله ابن الحاجب في أماليه وهو وجه غريب ، أعني انتصاب الضمير على الحال ، وهو مبني على إجازة الخليل ( له صوت صوت الحمار ) بالرفع صفة لصوت بتقدير مثل ، وأما سيبويه فقال : هذا قبيح ضعيف ، وممن قال بالجواز ابن مالك قال : إذا كان

---

[١] الآية : ٢٤ يويف

[٢] الآية : ٢ الزمر

المضاف إلى معرفة كلمة ( مثل ) جاز أن تخلفها المعرفة في التنكير فتقول ( مررت برجل زهير ) بالخفض صفة للنكرة ، وهذا و ( هذا زيد زهيراً ) بالنصب على الحال ، ومنه قولهم ( تفرقوا أيادي سبا ) و ( أيدي سبا ) وإنما سكنت الياء مع أنهما منصوبان لثقلها بالتركيب والإعلال كما في معد يكرب وقالي قلا . إنتهت الفائدة من المغني أعلى الله جامعه بفضله وجزاه الخير وجعله من أهله ، ورفع في عليين درجة محله .

فائدة منه أيضا : قال مسألة : أجرى الكوفيون ثم مجرى الفاء والواو في جواز نصب المضارع المقرون بها بعد فعل الشرط ، واستدل لهم بقراءة الحسن ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله** ﴾[1] بنصب ( يدرك ) وأجراها ابن مالك مجراهما بعد الطلب ، فأجاز في قوله صلى الله عليه وسلم ( لايبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لايجري ثم يغتسل منه ) ثلاثة أوجه : الرفع بتقدير ثم هو يغتسل وبه جاءت الرواية ، والجزم بالعطف على موضع فعل النهي ، والنصب قال : بإعطاء ثم حكم واو الجمع ، فتوهم تلميذه الإمام أبوزكريا النووي رحمه الله أن المراد إعطاؤها حكمها في إفادة معنى الجمع فقال : لايجوز النصب لأنه يقتضي أن المنهي عنه الجمع بينهما دون إفراد أحدهما ، وهذا لم يقله أحد ، بل البول منهي عنه سواء أراد الاغتسال فيه أومنه أم لا ، إنتهى . وإنما أرادا ابن مالك إعطاءها حكمها في النصب لافي المعية أيضا ، ثم ماأورده إنما جاء من قبل المفهوم لاالمنطوق ، وقد قام دليل آخر

---

[1] الآية : ١٠٠ النساء

على عدم إرادته ، ونظيره إجازة الزجاج والزمخشري في ﴿ **ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق** ﴾[٢] كون ﴿ **تكتموا** ﴾ مجزوما وكونه منصوبا مع أن النصب معناه النهي عن الجمع . ثم قال : تنبيه : قال الطبري في قوله ﴿ **أثم إذا ماوقع آمنتم به** ﴾ معناه أهنالك ، وليست ثم التي تأتي للعطف . وهذا وهم اشتبه عليه ثم المضمومة الثاء بمفتوحها .

********

[٢] الآية : ٤٢ البقرة

( فائدة ) قال الإمام محي الدين النووي في شرح صحيح مسلم له : قال الحسن البصري : حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه ، ثم قال : قال القاضي عياض : هو معاملة الناس بالجميل والبشر، والتودد لهم ، والاشفاق عليهم ، واحتمالهم والحلم عنهم ، والصبر عليهم بالمكاره ، وترك الكبر والاستطالة عليهم ، ومجانبة الغلظة والغضب والمواخذة . قال : وحكى الطبري خلافا للسلف في حسن الخلق : هل هو غريزة ام مكتسب ؟ قال القاضي : والصحيح أن منه ماهو غريزة ومنه مايكتسب بالتخلق والاقتداء بغيره . انتهى مانقله النووي عن القاضي .

( قلت ) ويؤيد ماقاله القاضي إن حسن الخلق بعضه غريزة وبعضه مكتسب قول سيدنا الإمام ليث الله الغالب علي بن أبي طالب رضي الله عنه شعراً :

أقول العقل عقلان        فمطبوع ومسموع
فلاينفـــع مسموع        إذا لم يك مطبوع
كما لاتنـفع الشمس        وضوء العين ممنوع

*******

( فائدة ) وجدت بخط من قال : وجدت بخط الشيخ عمر باشراحيل : الدرهم بوزن جهتنا يعني الحضرمية ، قفلة ونصف عشر قفلة بقفلة الوقت . انتهى من شرح العدة لبامخرمه .

والقرطم حب العصفر ، والحصرم بالصاد المهملة بلح العنب ، والعجوة العشدلي .

( فائدة ) المثقال دينار أوعكسه ، ولايختلف جاهلية واسلام . الرقة والورق الفضة ، والهاء عوض عن الواو . اهـ شرح اسنى .

( فائدة ) اعلم أن نصاب الفضة احدى وعشرون أوقية بالأوقية المعروفة ، يعني أوقية الشحر ونواحيها ، قاله عبدالله بلحاج بافضل نقل من خط الفقيه عبد الله بن دعسين اليمني .

( فائدة ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : في الرقة ( أي الفضة ) ربع العشر ، ذكره في المنهج القويم . قال بعضهم وفي كتاب سبيل الرشاد شرح الإرشاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( عليهم فيما دون خمس أواق من الورق صدقة ) والأوقية أربعون درهما .

( فائدة ) ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أرسل الله ملك الموت عليه السلام إلى موسى عليه السلام ، فلما جاءه صكه ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه فقال : أرسلتني إلى عبد لايريد الموت ؟ فردالله إليه عينه وقال أرجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة ، قال إي رب ، ثم مه ؟ قال : ثم الموت ، قال فالآن أسأل الله تعالى أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى

جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر ، وفي الرواية الأخرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاء ملك الموت إلى موسى فقال : أجب ربك ؟ فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ، وذكر نحو ماسبق . قال الإمام محي الدين النووي رضي الله عنه في شرح صحيح مسلم : أما قوله صكه فهو بمعنى لطمه ، وفي الرواية الثانية : وفقأ عينه بالهمز ، ومتن الثور ظهره ، ورمية بحجر قدر مايبلغه ، قال : وقوله فما توارت يدك من شعره فإنك تعيش بها سنين . هكذا هو في جميع النسخ . توارت معناه وارت وسترت ، قال : وقوله : ثم مه ، هي ها السكت وهو استفهام ، أي ثم ماذا يكون حياة أم موت ، والكثيب الرمل المستطيل الحد ، ورب ومعنى أجب ربك أي للموت ومعناه جئت لقبض روحك ، وأما سؤاله الأدنى من الأرض المقدسة فلشرفها وفضيلة من فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم ، قال : ثم قال العلماء : وإنما سأل الأدنى ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون مشهورا عندهم فيفتتن به الناس ، وفي هذا استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين ، والله أعلم .

ثم قال الإمام النووي قال المارزي : وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصوره قالوا : كيف يجوز على موسى فقؤ عين ملك الموت ؟ قال : وأجاب العلماء بأجوبة أحدها : أنه لايمنع أن يكون موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة ، ويكون ذلك إمتحانا للملطوم ، والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه مايشاء ، ويمتحنهم بما أراد ، والثاني : أن هذا على المجاز ، والمراد أن موسى ناظره

وحاجه فغلبه بالحجة ، ويقال فقأ عين فلان إذا غلبه بالحجة ، ويقال عورت الشيء إذا دخلت فيه نقصا ، قال : وفي هذا ضعف لقوله صلى الله عليه وسلم : فردالله عينه ، فإن قيل : أراد حجته كان بعيدا . والثالث : أن موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم لم يعلم أنه ملك من عند الله تعالى وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها ، فأدت المدافعة إلى فقئ عينه لأنه قصدها بالفقؤ ، ويؤيده رواية صكه ، وهذا جواب الإمام أبي بكر ابن خزيمة وغيره من المتقدمين ، واختاره المازري والقاضي عياض قالوا : وليس في الحديث بصريح بأنه تعمد فقئ عينه ، فإن قيل : فقد اعترف موسى عليه السلام حين جاءه ثانيا بأنه ملك الموت عليه السلام ، فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة ملك الموت عليه السلام فاستسلم له ، بخلاف المرة الأولى ، والله أعلم .

( فائدة ) قوله صلى الله عليه وسلم : رحمة الله علينا وعلى موسى ، الحديث ، قال الإمام محي الدين النووي في شرح صحيح مسلم : قال العلماء : فيه استحباب إبتداء الإنسان بنفسه في الدعاء وشبهه من أمور الاخرة ، وأما حظوظ الدنيا فالأدب فيها الإيثار وتقديم غيره على نفسه ، قال : واختلف العلماء في الإبتداء في عنوان الكتاب فالصحيح الذي قاله كثيرون من السلف وأجابه أنه يبداء بنفسه فيقدمها على المكتوب إليه فيقول : من فلان إلى فلان . ومنه حديث كتاب النبي صلى الله عليه وسلم : من محمد بن عبدالله ورسوله ، إلى هرقل عظيم الروم ، وقال طائفة : يبدأ بالمكتوب إليه : إلى فلان من فلان ، قالوا : إلا ان

يكتب الأمير إلى من دونه ، اوالسيد إلى عبده ، أوالوالد إلى ولده ، ونحو هذا .

**( فائدة )** قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم : قال القاضي عياض في قوله عليه السلام : وأماالغلام فيطبع يوم طبع كافرا ، حجة بينة لأهل السنة لصحة مذهبهم في الطبع والدين والأكنة والأغشية والحجب والسد ، وأشباه هذه الألفاظ الواردة في الشرع في إستيلاء الله تعالى بقلوب أهل الكفر والضلال ، ومعنى ذلك عندهم : خلق الله تعالى فيها ضد الإيمان وضد الهدى ، وهذا على أصل أهل السنة أن العبد لاقدرة له إلا ما أراده الله سبحانه وتعالى ويسره له وخلقه له ، خلافا للمعتزلة والقدرية القائلين : بأن للعبد فعلا من قبل نفسه ، وقدرة على الهدى والضلال ، والخير والشر، والإيمان والكفر ، وأن معنى هذه الألفاظ تسمية الله تعالى لأصحابها وحكمه عليهم بذلك . وقالت طائفة منهم : معناها خلقه علامة لذلك في قلوبهم . قال : والحق الذي لاشك فيه أن الله يفعل مايشاء من الخير والشر ، ولايسئل عما يفعل وهم يسئلون ، كما قال تعالى في عالم الذر ( هؤلاء للجنة ولاأبالي وهؤلاء للنار ولاأبالي ). قضى لهم بالنار طبع على قلوبهم وختم عليها وغشاها .

******

انتهى الموجود من كتاب سفينة البضائع الجزء الثاني ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتتنزل البركات والصلاة والسلام على أشرف البريات ، وعلى آله وأصحابه السادات والقادات ، وسلم تسليما كثيرا والحمدلله رب العالمين ، وقد تم نقلها ومطابقتها على نسخة مخطوطة تحصلناعليها من جاوه من مكتبة سيدي الوالد علي بن احمد بن عبدالله بن طالب العطاس بقلم السيد سالم بن عمر بن شيخان بن محمد الحبشي ،

و نسخة أخرى بعث بها إلينا الحبيب علوي بن عبدالرحمن بن عبدالله بن علوي العطاس من حريضه بحضرموت ، وقد قابلنا النسختين وراجعناهما بحسب الطاقة والإمكان ، إضافة إلى الكتب التي نقل منها المؤلف رحمه الله منها كتاب المجموع شرح المهذب للإمام النووي ، وكتاب وفيات الأعيان لإبن خلكان ، وكتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب للشيخ عبدالله بن هشام الأنصاري ، فأسأل الله الكريم أن يجعل عملي فيها مقبولا وأن يحصل بها النفع العام وأن لايحرمني بركة مؤلفها ، ورحم الله إمرأ رأى خطأ فأصلح أوزللا فسمح ، لأن الإنسان محل الخطاء والنسيان خاصة من هو مثلي قصير الباع قليل الإطلاع .

فإن تجد عيبا فسد الخللا    فجل من لاعيب فيه وعلا

وكان الفراغ من نساختها ومراجعتها عصر يوم الجمعة الرابع عشر من شهر جمادي الثانية سنة ١٤٢٠ عشرين وأربعمائة وألف هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، بقلم العبد الفقير إلى رب الناس احمد بن عمر بن احمد بن عبدالله بن طالب العطاس ، غفرالله له ذنوبه وغفر لوالديه وإخوانه وأصحابه ومحبيه ومشائخه ولمن كان سببا في تحصيل ذلك ولجميع المسلمين ،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تسليما كثيرا والحمدلله رب العالمين

آمين اللهم آمين

***

# فهرست كتاب سفينة البضائع الجزء الثاني

الموضوع

*********